لعلها تكون سبباً في تغيرك

رواية

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: لعلها تكون سبباً في تغيرك
اســـم المـؤلف: حنين الشبراوي
التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــداع: 15170 / 2024

الترقيـم الدولي: 7 - 479 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: د. هبـة ماردين
تـصـميـم الغلاف: شيماء منير
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201030502390
dewanalarabegypt@gmail.com

لعلها تكون سبباً في تغيرك

رواية

حنين الشبراوي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى كل إنسان أحياه الله على هذه الأرض، وأيضًا من أجل غادة فلن أنسى قصتها أبدًا.

حنين الشبراوي

****

مقدمة المؤلف

هذه الرواية مُستوحاة من قصص حقيقية، خطوطها العريضة تنتمي إلى الواقع، وأحداث هذه القصة منتشرة في كثير من المنازل، وأبطالها كانوا / مازالوا على قيد الحياة، وتتناول هذه الرواية كثيراً من الموضوعات الهامة التي يجب أن يعرفها كل إنسان، وأتمنى أن يتعلموا منها، وتقوم باستفادتهم، وهذه غايتي من كتابتها.

الكاتبة / حنين الشبراوي

****

كُنت أعتقد في صغري أنّ الجميع يتمنى الخير لغيره، وأنّ كلّ من يحلف بالله صادق، وأنّ جميع النوايا طيبة، وأنّ من يتخذ على عاتقهِ عهدًا يفي به ولا يخون، وأنّ القلوب ببساطة تلين، وأنّ نقش الأسماء على جذع الشجرة هو الحبّ، وأنّ العبورَ لمدينة الأحلام أمرٌ سهلٌ.. حتى كبِرت

تقول بطلة الرواية:

- أفتقدك سامحيني لم يعد بإمكاني التوقف عن البكاء، وفاتك فاجعة لم أتمنَّ سماعها يومًا، اشتقت لك يا من رحلتِ عني دون وداع.

سنعلم مع الأحداث القادمة إلى من توجه حديثها هذا..

****

-صوت شهقاتها واضح من خلف ذلك الباب، تضع يديها على أذنيها، تريد أن تصرخ حتى تتوقف جميع الأصوات من حولها؛ لكن إلى متى سيبقى كل هذا؟!

****

(1)

حور

كنت أعد الغداء قبل مجيء زوجي، ومرّ الوقت حتى انتهيت أخيرًا من إعداده، ودلفت لجميع أنحاء المنزل؛ لكي أتأكد من نظافته، وتأكدت أنّ كلّ شيء على ما يرام، ثمّ سمعت طرقًا على الباب، ومن ورائه من ينادون بصوت عالٍ: أمي لقد جئنا هيا افتحي لنا الباب.

ضحكتُ بخفةٍ وقُلتُ: نعم إنّهما هما الاثنان مَن غيرهما

"تِيا وتقي" ذوا الستة أعوام.

لقد عادا من عند والدة زوجي، أصرا على المكوث معها ليلة أمس.

فتحت لهما الباب واحتضنتهما، وبالرغم من أنهما غابا عني ليلة واحدة فقط؛ إلا أنّني اشتقت لهما كثيرًا ولفوضتهما. أنا أحبّ طفليّ كثيرًا، وكنت دائمًا أحرص على اهتمامي الشديد بهما، وألّا يعيشا طفولة مثل طفولتي.

وشردتُ وأنا أتذكر كلّ ما حدث معي في طفولتي.

فلاش باك :

أنا "حور" الفتاة الوحيدة لأهلي، لم أرَهم من قبل مثل أي أسرة سعيدة ومتفاهمة، كنت كل ما أراه هو عنف أبي الدائم، كان يضرب أمي كثيرًا، وأيضًا كان يقول إنّه يكرهني؛ لأنه كان يريد صبيًا..

وعندما كنت أبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، كان يريد أبي أن يزوجني رغمًا عني من شخص يكبرني ثلاثين عامًا! وذلك من أجل النقود، فكان يتاجر بابنته كالسلعة!

وفي هذا اليوم قررت أمي بأن تتكلم وتعترض عن ذلك، لكنّه قام بضربها، وكانت ستموت حتمًا بين يديه، وصرخت في أبي حتى يتركها، وعندما فعلت ذلك، قام بضربي حتى أنّ ذراعي الأيمن قد كُسر، ولم يكتفِ بهذا فقط، بل حبسني في غرفة مظلمة، وتوسلت له كثيرًا أن يخرجني، فأنا أخاف من الظلمة منذ صغري كان يفعل ذلك دومًا فأصبح لدي فوبيا من الأماكن المظلمة، لكن لا حياة لمن تنادي.

سمعت أصوات تشاجره مع أمي من خلف الباب، وقالت له أن يخرجني، لكنّه زاد في ضربها، ظللت أبكي كثيرًا على حالي أنا وأمي.. شعرت بأنفاسي المتسارعة، وبدأت أختنق، ولم أتذكر شيئًا بعدها، وفي الصباح استيقظت عندما مرت أشعة الشمس من النافذة.

لم أسمع أي صوت من خلف الباب، ظللت أنادي عاليًا حتى يفتح لي أحد، وناديت كثيرًا على أمي لكن لم أستقبل أي رد، فتحت نافذة الغرفة، وناديت على جاري "فادي" فهو حب طفولتي، ويكبرني بثلاث سنوات، وسرعان ما أجابني، حكيت له ما حصل ليلة أمس، وطلبت منه أن يأتي سريعًا، ويكسر الباب ويخرجني، وأني لا أعلم أين ذهبت أمي، وبعدها سمعت صوت تكسير الباب، علمت أنه أتى.

وعندما خرجت من هذه الغرفة، بحثت في جميع أنحاء المنزل على أمي، وعندما دلفت لغرفتها وجدتها مغشية على الأرض والدماء تتساقط من أنفها وفمها، ورأسها أيضًا، وأنفاسها كانت بطيئة جدًا، وشبه منعدمة.

****

(2)

-

أفقتُ من شرودي على صوت يناديني، وكان زوجي "فادي" قد عاد.

كنت دائمًا أحمد الله أنه أرسل فادي لحياتي في أكثر وقت كنت أحتاج إليه، ذلك الرجل أثبت لي أنّ الحبّ والمودة والرحمة لم ينتهوا بعد.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال فادي إنه سيضطر السفر صباح غد؛ لنقل بضائع تابعة للعمل وسيعود بعد ثلاثة أيام، حزنت كثيرًا بسفره. لا أحب المكوث في المنزل بدونه لكن هذه هي طبيعة عمله فَهو يعمل في الميناء.. لم أظهر له حزني بسبب سفره وفقط دعوت الله أن يذهب ويعود إلينا بسلامته.

وغادر في اليوم التالي، وذهبت للمدرسة لأخذ أطفالي في موعد انصرافهم، ورأيت موقفًا أمامي يتعرض له الكثير..

رأيت مجموعة من الفتيات والفتيان يقفون أمام فتاة صغيرة في نفس عمرهم، ويسخرون منها بسبب لون بشرتها السمراء، والنظارة التي تضعها بسبب ضعف نظرها، والفتاة كانت تبكي بحرقة، وهم يزدادون في سخريتهم، ويلقون عليها أسوأ الأحاديث، وأخذ طفل كوبًا به ماء، ثم سكبه على رأسها، وازدادوا أكثر في ضحكهم عليها، وكانت تقف هي بلا حيلة، فقط تبكي!

ذهبت لهم وقلت: لمَ تفعلون ذلك في زميلتكم؟

قالت إحدى الفتيات وهي تضحك: ألم ترَ هيئتها يا خَالَتِي، كل شيء فيها يضحك.

وبدؤوا يضحكون مرة أخرى.

وجهت نظري نحو الفتى الذي سكب عليها كوب الماء، وقلت له بجمود: وأنت لمَ فعلت هكذا؟

قال: فقط كنت أمازحها وهي يجب أن تكون اعتادت على ذلك.

قلت له بلين حتى يتفهم حديثي: لقد نهى الإسلام عن خداع الناس الذي يؤدي إلى ترويعهم وإخافتهم ولو على سبيل المزاح، أي فعل ما يسمى بالمقالب، وكذلك نهى عن الاستهزاء المتعمد من شخص أو من تصرفاته أو خلقته أو اسمه أو نسبه أو مجتمعه الذي قد يسبب له جرحًا نفسيًا ويضعف ثقته بنفسه ويسبب له إحراجًا ويدفعه إلى كراهية المجتمع والانتحار. وجهت نظري لهم جميعًا، وأكملت قائلة: كل هذه الأسباب تجعل حكم ممارسة التنمر بكافة أشكاله مُحرمًا ويجعل حكم مواجهتها واجبًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في التنمر: (أثقل شيءٍ في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق، وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء)، أي بمعنى أنّ التنمر من الفواحش التي يمارسها الإنسان بحق الآخرين وإنّ الله يكره ويبغض السيئين والفاحشين وينبذهم؛ وإنّ الأخلاق الحسنة هي التي تثقل ميزان المؤمن وترفعه درجات عند الله تعالى.

وحرم الإسلام الإيذاء والاعتداء على الآخرين حتى بالكلام والنظر، حيث قال الله تعالى: (ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين)، وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:-

(لا ضرر ولا ضرار) أي أنّه قد حثنا الإسلام على تجنب إلحاق الضرر الجسدي والنفسي أيضًا الذي قد يكون أقسى وأكبر أثرًا من الجسدي.

كما أكد الرسول – صلى الله عليه وسلم - أنه لا يجب للمسلم أن يسيء لأخيه أو يتنمر عليه بأي شكلٍ كان، وذلك بقوله: (لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلمًا) وقال أيضًا: (من أشار إلى أخيه بحديدةٍ فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه)، أي إذا وجه الشخص لأخيه سلاحًا سواء كان مازحًا أو جادًا فإنه ملعونٌ عند اللهِ وملائكته.

ومن أهم الأسباب التي تدفع المرء للتنمر هي غياب خلق الاحترام والوعي الإرشادي والتربوي والخلقي بين البشر، وكذلك التربية السيئة التي يكبر عليها الفرد والتي تمنعه من تقدير واحترام الآخرين، والنمو في بيئةٍ اجتماعيةٍ سيئةٍ بعيدةٍ عن الأخلاق الحسنة، فهل أنتم ترون أنفسكم هكذا حتى تفعلوا ما قمتم به؟! هزوا رؤوسهم نافيين، فقلت لهم متسائلة: إذًا لمَ تثبتون هذا بتصرفاتكم! فبهذه التصرفات السيئة سوف يبغضكم الناس، ويبتعدون عنكم، والمتنمر بفعله هذا يخالف الأخلاق الإسلامية؛ التي تدعو إلى احترام الناس، وعدم إيذاء من هم أضعف منا أو أفقر منا، أو غير ذلك من حالات التنمر، وعليه أن يعلم أنّ القوة التي منحنا الله إياها

إنما هي من أجل عمل الخير، ومساعدة الآخرين، كما أنّ على الأهل معرفة عاقبة تركهم أو إهمالهم لأبنائهم؛ وأنّهم محاسبون على عدم تربية أبنائهم على القيم والأخلاق الإسلامية، فهل ترضون على أن يعاقب أهلكم بسبب أفعالكم السيئة؟

هزوا رؤوسهم نافيين مرة أخرى.

وأكملت حديثي: يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (المسلِمُ من سلمَ المسلِمونَ من لِسانِهِ ويدِهِ)، فالمسلم لا يتعرض للناس بالأذى ولا يسبهم، ولا يشتمهم ويبتعد عن كل ما يسبب لأخيه المسلم الأذى كأن يتعرض له بكلام سيِّئ أو يضربه أو يشتمه.

هل تعدونني الآن ألّا تكرروا هذه الأفعال أبدًا؟ وإذا رأيتهم فعلًا سيئًا أمامكم لا تسمحوا بحدوثه؟

قالت لي فتاة منهم: نعدك يا خَالَتِي، ونعتذر على طريقتنا.

قلت لها بحبّ: لا تعتذري مني، اعتذري مما قُدمت المساءة لها.

ذهبوا للفتاة واعتذروا منها، وطلبوا منها أن تكون رفيقة لهم، وهي رحبت كثيرًا بذلك، لكن رأيت نظرة الانكسار في عينيها، وأخذتها بعيدًا عن زملائها وقلت لها بحب: ما الذي يحزنك هكذا يا صغيرتي؟

تفاجأت بها تحتضنني وتقول لي وهي تبكي: لم يدافع أحد عني من قبل مثلما فعلتِ، انفصل والداي عندما كنت صغيرة جدًا، وعشت بعدها مع والدتي، لكنها تهملني كثيرًا، وكذلك أبي لم يأتِ لرؤيتي منذ شهور..

حزنت على حال تلك الطفلة، وأخذت منها رقم هاتف والدتها حتى أحدثها، وبالطبع نصحتها كثيرًا بأن تهتم بها بعد أن حكيت لها عن التنمر الذي تعرضت له طفلتها.

وبعدها أخذت أطفالي وعدت للمنزل.

****

(3)

إنّ مسؤولية حماية المجتمع من التنمر هي مسؤولية مشتركة؛ لكل من الأهل، والمدرسة، والمسجد، والعلماء والخطباء دور في محاربة التنمر؛ فيجب نشر الوعي حتى تنتهي هذه الصفة السيئة التي تؤدي المتنمر عليه إلى الإجهاد النفسي، ومن الممكن أن تصيبه بالتوحد ويلجأ للانتحار، وذلك لأنه شعر بعدم قبوله الدائم بين أقاربه أو زملائه.

يجب على كل أم وأب أن يحثوا أبناءهم على السلوك الجيد ومعرفتهم بتعاليم الإسلام، والتكلم المستمر معهم في الأشياء التي حرمها الله، ويبعدوهم عن فعل هذه السلوكيات السيئة.

....

ولذلك فإن اختيار شريك الحياة من البداية أمر ليس بالسهل أبدًا؛ لأنّ إذا حدث الطلاق مستقبلًا من سيتأذى هو الأبناء؛ حيث يعد الطلاق أو انفصال الأب والأم من المشكلات الاجتماعية التي باتت مألوفة في مجتمعاتنا في هذه الأيام، ولا شك أن مثل هذه المشكلة يمكن أن تؤثر على نفسية الطفل وعلى نموه العاطفي والوجداني السويّ، فيمكن أن يؤثر أيضًا عليه من خلال إحساسه بالخسارة، فالانفصال عن الوالدين لا يعني فقدان المنزل بل فقدان حياة بكاملها، ويشعر بعدم الانسجام مع عائلة فرض عليه العيش معها، والشعور بالقلق حيال فكرة العيش وحيدًا بعد غياب

أحد الوالدين، والخوف من فقد أحدهم، ويمكن أن يشعر بالحقد والغضب تجاه أحد الوالدين الذي يعتقد أنه كان سبب الانفصال، الشعور بفقدان الأمان والاحتكار والنبذ؛ فيحتاج معظم الأطفال إلى وقتٍ طويلٍ لكي يعودوا إلى حالتهم الطبيعية حتى لو عاد الوالدان إلى العيش سويًا حياة يتخللها العنف.

فَمن المهم ألّا تضع أطفالك في بؤرة الصراع من خلال.. عدم الطلب من الطفل أو المراهق أن ينحاز إلى أحد الوالدين كأن نقول له: "مع من يعجبك أن تعيش يا عزيزي؟"

وتجنب أيضًا استجواب الطفل وعدم سؤاله عما يفعله أبوه أو أمه (أحد طرفي الصراع).

وعدم استخدام الطفل كسلاح لتهديد الطرف الآخر، كأن يلجأ أحد الوالدين إلى حرمان الطرف الآخر من الطفل، وعدم انتقاد الطرف الآخر أمام الطفل، تكلم مع طفلك بصراحة ووضوح لأنه بحاجة إلى أن يعرف ما يحدث حوله ويشعر أنّ من حقه إبداء رأيه أو الاستفسار عما يحدث حوله، واجعل طفلك يشعر باطمئنان بأنه لا يزال موضع حبّ، ورعاية، وعناية من قبلك ومن قبل الطرف الآخر؛ فاحرص على إمضاء بعض الوقت مع طفلك فهذا سيشعر بالأمان أكثر وبوجود والديه بجواره.

فَيجب أن يشعر الطفل بأنه لا يزال يعيش في كنف والدين يغمرانه بالحبّ والرعاية بصورة مستمرة، وأن يشعر الطفل بوجود والديه دومًا كعونٍ له في

جميع المراحل التي يمر بها، مثل مرحلة البلوغ وما تتضمنها من قلق وحيرة ومسؤوليات، ويجيب توضيح للطفل أنّ مسؤولية ما قد يحدث له تقع على الوالدين وليس على الطفل.

....

وبالطبع هذه هي الحياة لن تعطينا كل ما نريده؛ لكن الله يعوضنا دائمًا فما لك أن تتخيل عوض الله..

لقد رأيت الكثير في حياتي من صغري حتى الآن، ورأيت عوض الله لي في فادي ووالدته..

فلا تحمل هم شيء وتحزن، لأنّ الله لن ينساك أبدًا؛ لكن كل مرة الاختبار والابتلاء يكون أصعب، وهذا سيجعل منك إنسانًا قويًا قادرًا على تحمل وتخطي أي شيء بمفردك، وتذكر بأنّ الله كان بجوارك دائمًا، ويشعر بك في حزنك وقهرك؛ فهو في كلّ مرة يعوضك وإلا لم تكن تخطيت ووقعت في محنة بعدها، ويجب أن تعلم بأنّ عوض الله عندما يأتي يفوق كل توقعاتك..

ادعُ ربك وأكمل طريقك ولا تيأس.. الله الوحيد الذي لن يخذلك أبدًا؛ فَاصبر واحتسب أي شيء عند ربك، فَلم ينسَ الله وقفتك مع غيرك في وقت كنت تحتاج فيه من يسندك.. ولم ينسَ ابتسامتك في وجه الناس وأنت حزين ومنطفئ.. ولم ينسَ صبرك على ظروفك وكل مشكلاتك، وأنك تتحمل كثيرًا ومع ذلك لم تتأخر على أحد يطلب منك أي شيء أو مساعدة.. لم ينسَ الله سعيك وراء حلمك ولا معافرتك، وعالم بأمنياتك

وأحلامك فاطمئن سيجبر الله بخاطرك، فَأنا من أشد الناس اقتناعًا بأنّ الله يعوض الإنسان لدرجة أنه من الممكن أن ينسى ما خسره أو ينسى الضيق والتعب الذي مر به؛ فهو يعوضنا لدرجة أنّك من الممكن أن تفكر وتقول: ليتني ما تضايقت لحظة واحدة من قبل.

الله يعلم بما تمر به، وعن تجربة كلما كان إحساسك بالضيق أكبر كلما كان عوض الله أكبر وأجمل لكن عليك بالصبر، ربنا يسبب الأسباب، فمثلما يقولون كل شيء في الدنيا له سبب.. الله سبحانه وتعالى وحده من يعلم به، لكن عندما يأتي الوقت المناسب وتعلم بحكمة الله في ذلك سوف تدمع عينيك من جمال وحكمة الله في كل شيء.

****

(4)

كالعادة انتهيت من أعمال المنزل وجلست مع الأولاد لأقرأ لهم القرآن الكريم؛ فَاعتدت فعل ذلك منذ ولادتهم.

"تيا وتقي" رزقني الله بهما، توءمان شخصيتهما مختلفة عن بعض؛ لكن شخصية كل منهما تكمل الأخرى.

وبعدما انتهيت من قراءة الورد اليومي لهما، وأكملت معهما واجباتهما المدرسية دلفا ليناما، وكالعادة تِيا تصر أن أنام بجانبهما وأملس على شعراتها الناعمة، ومن بعدها غطا في سُبات عميق..

نظرت نظرة طويلة لطفليّ، وأنا أحمد الله على وجود كل هذه النعم في حياتي..

ثم دلفت لغرفتي اتصلت بفادي لأطمئن عليه وارتاح قلبي عندما قال إنه وصل بالسلامة، وشكرت الله على ذلك، وبعدما انتهينا من حديثنا اتجهت للصندوق المجاور لسريري وفتحته وأخرجت منه المذكرة المفضلة لي؛ لكي أقرأ ما دونته فيها من قبل، وبدأت في القراءة وتذكر كل شيء كتبته.

فلاش باك:

ساعدني فادي بنقل أمي إلى المستشفى، ولكن أخبرنا الطبيب بأننا قد تأخرنا، و صدمت عندما قال : البقاء لله.

شعرت بتوقف الدنيا من حولي عندما نطق بذلك.

دلفت للغرفة التي توجد بها أمي بخطوات بطيئة، رأيت ذلك القماشة البيضاء تغطي جسدها بالكامل ووجهها، وعندما وصلت لجوارها، أبعدت ذلك الوشاح عن وجهها.

واحتضنتها وقلت لها بحنان: هيا استيقظي يا أمي، لا تمزحي معي هكذا، أعلم أنك تستمعين إليّ، قومي بفتح عينيكِ، وقولي لي إنّ هذا الطبيب يكذب، ثم انفجرت دموعي وأنا أصرخ: لا تتركيني يا أمي.. أرجوكِ يا أمي، لمن ستتركينني؟ لم أرَ حنانًا مثل حنانك في ذلك المنزل، هيا بنا سنرحل بعيدًا، ونبتعد عن أبي وشره، سنعيش أنا وأنتِ وحدنا في سلام بعيد عن كل ذلك الأذى، لمَ لا تجيبنني يا أمي؟

قمت بهزها وأنا أصرخ، وأعيد سؤالي لها: لمَ لا تتحدثين معي، طلبت منكِ أن تفتحي عينيكِ لمَ تريدين أن تمزحي معي بهذه الطريقة؟!

وبعد صمت دام لدقائق كنت فقط أردد وأقول: لقد ماتت من ضحت، وتحملت، وعانت، ماتت من تعبت وتحملت لأجلي ماتت!

حينها دلف فادي ووالدته "فريال" للغرفة، وقامت هي باحتضاني، وأنا متمسكة بيد أمي، وبعدها فقدت الوعي، وعندما استيقظت وجدت نفسي متسطحة على سرير في غرفة يبدو أني ما زلت في المستشفى.

وتذكرت كل ما حدث، وبكيت بهستيريا وأنا أنادي على أمي..

مرت الأيام وكنت قد أصبت بانهيار عصبي، وأيضًا دخلت في حالة اكتئاب حادة، ولجأت لكثير من الأطباء النفسية، أتعرض لكوابيس وللجاثوم أو ما

يسميه البعض "شلل النوم" يعد جاثوم النوم اضطرابًا وثيق الصلة بالشلل الذي يحدث كجزء طبيعي من مرحلة النوم التي تسمى حركة العين السريعة، ويحدث شلل النوم عندما يستيقظ المخ من نوم حركة العين السريعة، ولكن لا يزال الشلل الجسدي، وهذا يجعل الشخص واعيًا تمامًا، ومهما حاول مرارًا التحرك، ويكون دون جدوى، وغير قادر على التحرك.

ويمكن أن يكون مصحوبًا بالهلوسة، وغالبًا يعتقد الشخص المصاب بالجاثوم أنه يحلم؛ لأنّ الشعور يكون مشابهًا لما يحدث في الحلم، كما أنه غير قادر على التحرك ومتجمد في مكانه، ويزيد من ذلك الشعور عنصر الهلوسة حيث يرى الشخص عناصر خيالية في الغرفة، والتي تكون شبيهة بالأحلام، وكان من يجاورني هي خالتي فريال والدة فادي، وفادي أيضًا لم يتركني أبدًا.

وأصروا عليّ بأن أترك ذلك المنزل، وأذهب معهم لمنزلهم، وأمكث معهم دون عودة.. وذلك بعد عدم ظهور أبي منذ تلك الليلة.

وبالفعل ذهبت معهم، وبسبب وفاة أمي لم يعد لي شغف بأن أكمل دراستي بعد أن التحقت بكلية التجارة، لكن بإصرار فادي، عدت مرة أخرى للجامعة.

وبعد انتهائي من الدراسة تزوجت من حبيبي فادي.

(5)

حور

كنت أتمنى أن يحبني أبي، كنت أتمنى أن يكون حنونًا عليّ وعلى أمي، لكن هذا الشخص قاتل أمي!

أنا أكرهه بشدة..

وبعد أيام من زواجي علمت أنه توفي في السجن، بعدما أمسكت به الشرطة منذ أعوام وهو يتعاطى المخدرات.

-بدأت أدون في مذكرتي :

أنا ابنة تلك المرأة الصبورة التي علمتني أنّ لا حاجة لي عند مخلوق وأنّ الله معي دائمًا، هي كانت أحد أقداري السعيدة، ستبقى لي لباس فخر طوال الدهر، أشعر بروحها العطرة تُظللني في ذهابي وإيابي، تتبعني فهي دائمًا معي، منذ رحيل أمي والصمت يعذبني ويرهقني، ويزيد آهاتي لا أجد من أبوح له عما في داخلي غير دموعي، ونسيانها لا أقدر عليه وفراقها أصعب مما توقعت، آهٍ يا أمي يا من انتظرتِني أيامًا ولياليَ، أمي يا من جعلتي نبضي جار قلبك تسعة أشهر، يا من تحملتِ الألم فقط لأجل أن أبصر النور، أمي يا من أغمضتِ عينيكِ ورحلتِ، أمي أنتِ من كنت تعلمينني الحنان، والعطف، والصبر، والصدق لقد اشتقت لرؤية وجهك المضيء.

- أغلقتُ المذكرة التي كانت بيدي، وأنا أتنهد بحزن، ثم لجأت للنوم.

كان هناك صوت يناديني.. أنا أستمع إليه جيدًا.. نعم هذا صوت زوجي وحبيبي فادي.. لماذا يناديني هكذا بصوت عالٍ؟ ولمَ يبتعد عني هكذا؟

صرخت بصوتٍ عالٍ وأنا أتوسل له ألّا يبتعد عني، وفجأة ظهرت وحدي في الظلام، وأصوات متداخلة مع بعضها من حولي، أناس يسخرون مني ويضحكون، ويرددون: ستبقين لوحدك هنا وأصوات الضحكات تتعالى أكثر، وضعت يدي على أذني وصرخت باسم فادي..

وأفقتُ من النوم ألهث كثيرًا، ووجهي متعرق كأنني كنت في سباق، ودعوت الله أن يكون زوجي بخير ولم يصِبه مكروه، ونظرت للوقت كانت الساعة الخامسة فجرًا، قررت أن أتصل به لأطمئن عليه، لكنه لم يجب على الهاتف. دق الخوف في قلبي وتسلسلت الأفكار السيئة نحو ذهني، حاولت الاتصال به ولكن بلا جدوى.

دلفت للمرحاض.. توضأت، ثمّ صليت الفجر، ودعوت الله كثيرًا أن يحمي زوجي ويعود لنا بأفضل حال.

وبعد قليل دلفت لغرفة أطفالي؛ لكي أوقظهم ليبدؤوا يومهم الدراسي وجاء الباص لأخذهم، وانتهيت من أعمال المنزل، ونظرت للساعة كانت العاشرة صباحًا وحاولت الاتصال بفادي مرة أخرى لكن الهاتف قد أغلق.

خُفت كثيرًا عليه، فَأنا أخاف فكرة أن أخسر فادي فَهو كالروح بالنسبة لي لا أقدر على فراقه أبدًا، فهو حب حياتي منذ وجودي في هذه الدنيا، وتزوجنا أخيرًا بعد سنوات كثيرة، كنت تعودت على وجوده معي دائمًا، فادي هو هدية

الله لي والعوض الجميل، كان يدللني مثل طفلته وكنت أحب أن أسمع منه اسمي وهو يناديني "حوريتي"، وتذكرت أول مرة ناداني هكذا..

فلاش باك:

رن هاتفي باسمه، وكنت أنتظر مكالمته دومًا أثناء سفره لإتمام دراسته قبل زواجنا.

_فادي بحب: صباح الخير يا حوريتي الجميلة.

سعدت كثيرًا عندما لقبني بحوريته.

_سألته: لماذا تقول حوريتك هذه أول مرة تنادي لي هكذا.

_قال: لأنّ من اليوم وصاعدًا ستكونين حوريتي أنا وحدي.

_قلت له في خجل: ماذا تعني؟

_قال: تحدثت اليوم مع أمي؛ وسنحدد موعد زواجنا.

سعدت كثيرًا بحديثه وكنت غير مصدقة أنّ حلم حياتي على وشك أن يتحقق، وأتزوج حبيب عمري الشخص الذي اختاره الله لي ليعوضني عن كل ألم شعرت به.

باك..

أحضرت مذكرتي وأمسكت بقلمي، وأنا أفكر في كتابة خواطر جديدة بعدما اعتدت على كتابتها، وأصبحت هوايتي؛ فَكنت دومًا في أوقات الفراغ أميل لقراءة الكتب والروايات، وأيضًا لكتابة الخواطر ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي.

وبدأت أدوّن في ورقة جديدة...

"بمجيئه جلب معه السلام والأمان، أنظر داخل عينيه وأنا ممتنة بداخلي لوجوده، ولوجود كل تلك الجراح القديمة في قلبي التي جعلتني أُقدر هذه اللحظة بجانبه."

****

(6)

وبالتأكيد لن أنسى أن أذكر ملجئي بعد الله "همسة"

صديقتي الغالية، وسبب ابتسامتي في الحياة، والتي أشعر بقربها بالأمان، فهي كانت دائمًا بجواري، ولن تفارقني أبدًا، تشاركني في جميع أوقات حزني وفرحي، هي أخت لي وليست مجرد صديقة، أحمد لله كثيرًا أني أمتلك صديقة وأخت مثل همسة، فهي كان الشخص الذي يطبطب عَليّ أثناء انكساري، هي كل حياتي وتوْءَم روحي.

الصداقة الحقيقية كالعلاقة بين العين واليد، إذا تألمت اليد دمعت العين، وإذا دمعت العين مسحتها اليد.

وهكذا علاقتي أنا وهمسة

فَبعد كل هذه السنوات ظللنا مثلما كنا من قبل.. يد واحدة ولا يقدر شيء على تفريقنا..

لقد تعرفت على همسة أثناء دراستي في الابتدائية.. كنا أصدقاء لكن غير مقربين وظلت حتى الإعدادية غير مقربة مني؛ إلى أن جمعتنا المرحلة الثانوية وأصبحنا أكثر من أخوات لبعضنا، وكل واحدة منا كانت تتمنى أن تقترب من الأخرى أكثر مثل هذا الوقت من بداية معرفتنا ببعض.. لكن يشاء القدر أن يرسلها لحياتي؛ حتى تكون ملجئي وتشفي قلبي من كل ألم رأيته، فَكان الكل يسير ويبعد إلا همسة كانت دائمًا بجواري ولن تتخلى عني

أبدًا، علاقتنا قوية جدًا، ومتفاهمتان كثيرًا، وعندما يحدث سوء تفاهم بيننا، نصلح الأمر في وقته حتى لا تعود كل منا إلى منزلها وهي حزينة من الأخرى، وتواعدنا إذا حدث شيء يضايق الأخرى.. نتعاتب ونتفاهم وينتهي سوء التفاهم فورًا، وأنا أحب في همسة عقلانيتها وتصرفها بحكمة في الأمور الجدية.. فَبالطبع همسة هي نادرة من نوعها، ولحسن حظي أنها صديقتي.. فهي نعمة في حياتي، وأسأل الله ألا يزيلها أبدًا فهي من الأشخاص الرئيسين في حياتي، ولا أريد أن أخسرها أبدًا.

-أغلقت مذكرتي وتنهدت بحزن بعد تذكري لذكريات الماضي المؤلم؛ لكن سرعان ما شكرت الله على أنه عوضني عن كل هذا.. بوجود صديقتي همسة وحبيبي فادي .

"وتَظن أنها النِهاية، ثمّ يُصلِح الله كُل شيء"

-أَبْشِر.

شعرت بألم شديد داخل قلبي، وهذه ليست المرة الأولى، تكرر كثيرًا في الآونة الأخيرة.

قررت أن أذهب للطبيب لأعرف ما سبب هذا الألم المستمر، وفكرت أن أنتظر حتى عودة زوجي، لكن مع مرور الوقت كان الألم يتزايد حتى أنني

لم أقدر على تحمله، ودائمًا أشعر بدوار شديد، وضيق تنفس أثناء النوم وعند الاستيقاظ؛ فَقررت أن أذهب للطبيب؛ لكي أطمئن على صحتي.

وبعد عودة طفلاي من المدرسة، ارتديت ملابسي وهممت على الخروج، وتركت تيا وتقي عند والدة فادي.

وذهبت للطبيب، حدثته عن كل ما أشعر به.. وبعد الكشف الطبي، طلب تحاليل وأشعة وبالفعل قمت بها، كنت أدعو الله كثيرًا أن يطمئن قلبي وتكون هذه الأعراض مجرد ضغوط نفسية فقط.

ولكن قدّر الله وما شاء فعل، علمت أني مريضة قلب..

بالرغم من حزني الشديد بسبب هذا المرض من أجل فادي وأطفالي إذا فارقت هذه الدنيا؛ لكن كنت صبورة جدًا، وكنت فقط أدعو الله أن يتم شفائي بالرغم أيضًا من حديث الطبيب الذي لا يحتوي إلا على أمل قليل؛ ولكن الدعاء خير ما يلجأ إليه المريض لدفع ما أصابه؛ فالله -سبحانه وتعالى- هو الشافي المعافي، ويحب العبد اللحوح في الدعاء.

قد يختبر الله عباده بأنواع من المصائب والابتلاءات؛ ليرد عبده إليه.. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله."

فَيجدر بالمريض التوكل على ربه بعد الأخذ بالأسباب،

قال تعالى: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ).

ولا يصح من المسلم أن يركن إلى الأسباب الدنيوية ويتعلق بها طلبًا للشفاء؛ ذلك أن الشفاء بيد الله وحده، وإن التعلق بالأسباب الدنيوية حصرًا، والاعتماد عليها وحدها، منافٍ للتوكل على الله تعالى.

أنا لست خائفة من الموت أبدًا، بعكس ذلك تمامًا كنت سعيدة لأن العبد المبتلى، يغفر له سبحانه وتعالى جميع ذنوبه، يكون كالطفل بعد ولادته مباشرة، صفحته بيضاء، وأنا سعيدة أن الله اصطفاني أنا ليغفر لي ذنوبي، الحمد لله دائمًا وأبدًا وعلى كل حال.

- وجاء يوم عودة زوجي من سفره، وبعد ذلك الكابوس واتصالي به وإغلاقه لهاتفه لم يتصل بي أبدًا.

ومرت عليّ الأيام الماضية في قلق شديد، خوفًا إن كان حدث له أي مكروه .

وجاء المساء وأنا أنتظر عودته على أمل أنه سيأتي، وشعرت بألم في معدتي وتقيأت كثيرًا، ودبّ الرعب في قلبي حين تذكرت حديث الطبيب:

"مدام حور أنتِ في مرحلة صعبة جدًا وفي مرحلة متأخرة وللأسف يزداد الأمر سوءًا بسبب ضعف مناعتك وضعف جسدك أيضًا، ويجب أن تقومي بعمل اختبار حمل للتأكد من عدم وجوده لأنّ هذا يؤدي إلى تعقيد الأمر سوءًا عن قبل، وسيكون خطرًا عليكِ اكتمال ذلك الحمل وأيضًا به خطورة على الجنين، فَيجب إذا كان الاختبار إيجابيًا أن تقومي بإجهاضه فورًا حتى لا تزداد صحتك سوءًا".. وقبل عودتي للمنزل، قمت بإجراء اختبار حمل في المختبر، وقالوا إنّهم سيقومون بإرسال نتيجة الاختبار لي عند ظهوره.

-كنت راضية تمامًا أيًا تكن نتيجة الاختبار، لكن أخذت وعدًا على نفسي أني لن أتخلى أبدًا عن جنيني إذا كان الاختبار إيجابي، وحتى إذا كان به خطورة كبيرة على حياتي.

وبعد ساعات.. تلقيت رسالة بها نتيجة الاختبار، وكانت النتيجة إيجابية.

حمدت الله أنه رزقني هذا الجنين، ودلفت للمرحاض وتوضأت حتى أصلي قيام الليل وأدعو الله أن يأتي جنيني بصحة سليمة، فَاللّٰهُمَّ احفظ جنيني بحفظك، وأتمم حملي على خير، واجعله من الهداة المهتدين غير الضالين ولا المضلين، اللّٰهُمَّ جنبه الفواحش والمحن والزلازل والفتن ما ظهر منها وما بطن، اللّٰهُمَّ جنبه الزنا واللواط والخمر والمخدرات، اللّٰهُمَّ سلمه من العلل والآفات، اللّٰهُمَّ سلمه من شر الأشرار آناء الليل وأطراف النهار، واهده لما تحبه واغفر له يا غفار، اللّٰهُمَّ لا تزغ قلبه بعد إذ هديته وهب له من لدنك رحمة وهيئ له من أمره رشدًا.

-كما كانت أمي مصرّة على مجيئي لهذه الدنيا؛ فأنا أيضًا لن أتخلى عن جنيني حتى يأتي لهذه الدنيا وحتى إذا فارقت الروح جسدي بعد ولادته لكن الأهمية الأكثر بالنسبة لي أن يأتي هو بصحة سليمة، سأتحمل كل الصعاب التي سأواجهها من أجل هذا الجنين.

" فاللّٰهُمَّ أعني على تحمل آلام قلبي والمخاض والولادة، وهوّن عليّ صعوبتهم، وارزقني فرحة رؤية جنيني في صحة وسلامة، حتى وإن كان الموت قريبًا مني في تلك اللحظة، لكن أدعوك أن ترزقني لذة احتضانه يا الله ."

كنت أدعو الله والدموع تسير على وجنتيّ، كنت أفكر في حالة تيا وتقي وهذا الجنين، وأيضًا فادي بعد وفاتي، لكني متأكدة تمامًا إذا فارقت هذه الحياة سيقوم فادي بدور الأب والأم معًا، نعم سيتحمل فوق طاقته، لكنه سيواجه جميع الصعاب ويعتني بهم جيدًا وذلك بمعونة الله له .

****

(7)

أخذت قراري بأن أخفي خبر مرضي عن الجميع وعن فادي أيضًا، فَإذا علم أحد بهذا الخبر سيجبرونني على إجهاض الجنين.

وأخيرًا سمعت صوت مفاتيح الباب وكان فادي، أسرعت خطواتي للباب وجريت أحتضنه بلهفة شديدة والدموع تسير على وجنتيّ، اشتقت له كثيرًا وكنت أحتاجه بجواري في الأيام الماضية.

احتضني، وهو يملس على شعري ويهدئ من روعي، وقلت له في عتاب وبصوت مبحوح: فادي لماذا لم تتصل بي وأغلقت هاتفك لقد زدت من خوفي كنت أخشى أن أخسرك.

وزدت في بكائي، وقال لي مطمئنًا: لا تبكي يا حوريتي أنا هنا بجوارك ولن أبتعد عنكِ أبدًا، حدثت أشياء كثيرة معي أثناء سفري ولذا لم أقدر على محادثتك.

كنت سأرد عليه بخوف خشيةً إذا كان أصيب بأي مكروه، لكنه أسرع بقوله: لا تقلقي يا حوريتي لم يصِبني أي شيء، لكن قبل تسليمنا للبضائع انقلبت بنا الشاحنة ولحسن حظي ألقيت بجسدي بعيدًا عن الشاحنة قبل سقوطها في الوادي، وكان الهاتف في الشاحنة ولذلك أغلق، وانشغلت كثيرًا في هذين اليومين؛ لأن بسبب هذا الحادث وتلف جميع البضاعة خسرت

الشركة كثيرًا وعندما انتهيت من كل هذه الأمور عدت إلى هنا، وأخذت أسبوعًا راحة من العمل.

احتضنته وحمدت الله أنه استجاب لدعواتي وحمى لي زوجي.

وأحضرت له العشاء حين كان هو يستحم، وقررت أن أخبره عن حملي دون أن أتفوّه بأي شيء عن مرضي.

وضعت له "ببرونة" صغيرة بجانب ملابسه على السرير وكتبت ورقة صغير مكتوب فيها "ستكون أجمل أب لثالث طفل"

ودلفت للغرفة رأيته يمسك بالورقة والدموع على وجنتيه ويسجد لله شاكرًا له.

سعدت كثيرًا برؤيته فرحًا هكذا بهذا الخبر، وقلت له بفرحة ممازحة له: مبارك علينا يا فدوتي.

كان يتضايق مني عندما ألقبه بهذا الاسم، لكن هذه المرة أسرع خطواته إليّ وحملني وهو يستدير بي وأصوات ضحكاتنا ترن في أرجاء الغرفة.

كانت سعادته كأول مرة أخبرته فيها عن حملي الأول.

-أنا أحب فادي كثيرًا كان هو طوق نجاتي من عالم مظلم..

فادي هو عوض الله لي ورزقي في هذه الدنيا، أعلم أنه سيغضب مني كثيرًا إذا علم بمرضي بعد ولادتي، لكن أنا لا أقدر على موت طفلي من أجل نفسي.

احتضنت فادي وهمست له بحب: أحببتك حتى أصبح قلبي ممتلئًا بك، وأحرفي لا تكتب إلا لأجلك، أنت كالروح لقلبي وكالأمل لحياتي، أنت منزلي وملجئي، أنت أغلى البشر، حتمًا أنت بجميعهم.. وبعد العشاء دلف فادي للنوم، وأنا تصنّعت النوم حتى غط هو في سبات عميق، وظللت شاردة في أفكاري وأنا أنظر لفادي، ثمّ قبلت وجنتيه، وفتحت مذكرتي وبدأت أدوّن بها:

لا يوجد شيء يدعى الحب الأول أو الثاني أو حتى الثالث.. الحب فقط للإنسان المناسب الذي سوف تقدر أن تتعايش معه حياة سليمة بعيدة عن الإجهاد النفسي، وكذلك أيضًا الضغوطات التي تستنزف من صحتك كل يوم، حتى إذا قابلت ذلك الشخص بعد عشرين سنة ومليون تجربة فاشلة لكن ذلك الشخص يستحق الانتظار، الشخص الذي ينورك ويجعلك سعيدًا من قلبك غير منطفئ وحزين، الحب للإنسان الذي قابلته وأنت في أسوأ أوقاتك وتقبلك في جميع أحوالك، وساعدك كثيرًا حتى تعود للحياة مرة أخرى، الحياة المليئة بالحب والعشم دون الخذلان، وبالفعل الحياة لن تقف على شخص، فعوض الله جميل جدًا وأنت تستحق.

وقلبت الصفحة التالية وكتبت:

فادي حبيبي هو شخص يشبهني، شخص لا يحب الخصام، لا يرحل بسهولة، يقدم كل شيء في سبيل إسعادي.

كان بجواري في ذلك الوقت الذي كنت أجاهد مع نفسي حتى أحسن من حالتي النفسية بعد الضغوطات الكثيرة التي مرت عليّ..

فادي حنون جدًا بطبعه وأيضًا يحب الاهتمام كثيرًا، يثبت حبه لي دائمًا في أفعاله أكثر من أقواله، وقتها أدركت أني حقًا كسبت شخصًا يعادل جميع الناس التي خسرتها في حياتي وغير مستعدة على خسارة فادي أبدًا، علاقتي مع فادي جعلتني أدرك أنّ العلاقة الناجحة ليس بمرادها أن يوجد شخصان كاملان تلاقيا مع بعضهما وهذا خطأ، فالعلاقة الناجحة تعني شخصان تقبلا عيوب بعضهما وتعايشا معها، شخصان قادران أن يضحيا في سبيل توازن ونجاح العلاقة، طرف يطبطب وطرف يداوي، العلاقات تنجح بالتفاهم والمودة والرحمة.

- وأتذكر جيدًا حديث فادي لي قبل زواجنا..

قال لي: سوف نسمي ابننا تقي وسأناديكي دومًا بأم تقي.

قلت له بحب: وإذا كانت بنتًا سوف نسميها تيا.

ومن بعدها كان يناديني دائمًا حوريتي أم تقي.

وحين تذكرت ذكرياتنا مع بعضنا وجهت نظري نحو فادي النائم بجواري فَأنا أعشق هذا الرجل حتمًا.

ولا لحظة ندمت على زواجي من فادي، فَعندما تأخذين الرجل الذي يحبك وتحبينه ستدركين المعنى أن يكون لديكِ أصدقاء وأخوات وعائلة وعزوة

وسند وظهر وأمان وحنية في شخص واحد، أنا اخترت الراعي الصالح لأنه من سيقود الرعية، فادي خير الزوج والأب حقًا أنا محظوظة به كثيرًا.

-أغلقت مذكرتي وأخذت الدواء الذي وصفه الطبيب لي، ثم دلفت للنوم.

وفي الصباح التالي..

استيقظت ونظرت مكان فادي وكان فارغًا وسمعت أصواتًا آتية من المطبخ، نظرت في الساعة كانت العاشرة صباحًا، ثم تذكرت ميعاد ذهاب تيا وتقي للمدرسة، ومشيت مهرولة لغرفتهما وأنا أتمتم كيف تأخرت هكذا في النوم، ولكن الغرفة كانت فارغة أيضًا، وفجأة شعرت بدوران وأيضًا ألم شديد في قلبي، وشعرت بانقطاع أنفاسي ولم أرَ شيئًا بعدها..

لكن شعرت بلمسة يد فادي.. سمعته ينادي "حوريتي"

مهلًا ما هذه الأصوات!

نعم أنا أتذكر هذه الأصوات جيدًا.. أصوات همساتهم لكن لم يضحكوا هذه المرة بل يبكون.. لماذا؟!

أتى صوت مولود يبكي يعلن عن وصوله للدنيا وأصوات أخرى أُناس سعيدون بمجيئه وفجأة بكوا كثيرًا وتحولت سعادتهم لحزن شديد.

فتحت عينيّ ببطء ورأيت فادي أمامي وملامحه كلها قلق وخوف، وعندما تلاقت أعيننا بكيت كثيرًا واحتضنته بشدة، وهذا زاد من قلقه أكثر وأردف في خوف: حوريتي ما الذي أصابك، قلقت عليكِ كثيرًا، كنت آتيًا

لغرفتنا حتى أوقظك بعدما أعددت الفطور لكِ، ورأيتك واقعة على الأرض أمام غرفة تيا وتقي .

أيقنت أنّ هذا بسبب مرضي وليس السبب الرئيسي هو الحمل فَقلت له وأنا أمسح دموعي: حبيبي فادي لا تقلق هذا كله بسبب الحمل وهذا شيء طبيعي جدًا.

قال لي مستنكرًا: هل أنتِ متأكدة من هذا؟ وجهك شاحب جدًا وهذه المرة الأولى التي أراكِ بها في هذه الحالة.

قلت له بحب: حبيبي صدقني أنا بخير، هذا الإرهاق فقط من الحمل وهذه الأعراض واردة وخاصة في أول ثلاثة أشهر.

فقال لي مقتنعًا: حسنًا.. وأضاف بفخر: هل تعلمين يا حوريتي أن زوجك فدوتك قد استيقظ من السادسة صباحًا وأيقظ طفليه وجهز أدواتهما وأوصلهما للباص، وأيضًا أعد لكِ الفطور لكي تتغذي جيدًا أنتِ وصغيره المنتظر.

قلت له: لماذا لم توقظني حتى أساعدك، لقد قمت بفعل بأشياء كثيرة، وبالتأكيد أنّ الولدين أتعباك اليوم.

قال لي بحب وهو يقبل وجنتيّ، ثمّ حرك يديه على بطني: قلت لكِ من قبل أنّ هذا الأسبوع راحة لي من العمل ولذلك سأصحو كل يوم وأفعل كل ما فعلته، وما عليكِ غير الراحة، لا أريد أن أراكِ في مثل حالتك منذ قليل، أريد أن أرى دائمًا حوريتي بخير وفرحة ولا أريد شيئًا آخر غير ذلك.

لم أرَ أي رد أقوله، فقط ارتميت في أحضانه، وحزينة من داخلي على حاله إذا علم بمرضي، وأتمنى أن أشفى من هذا المرض لكنه ليس من السهل، فالموت يقترب مني..

وبعد الفطور تحدثنا في أمور كثيرة وبعدها ذهب فادي لشراء مستلزمات للمنزل، وفي ذلك الوقت كنت أتفقد الفيس بوك ورأيت صورة "أمنية قدري" مع زوجها ودونت على المنشور أن هذه الذكرى السابعة لزواجهما، تفاعلت مع المنشور وعلقت لها وأنا أتمنى لهما حياة سعيدة مع بعضهما.

****

(8)

أتذكر هذه الفتاة.. أمنية كانت زميلتي في المدرسة التجارية، كانت علاقتي بها سطحية بسبب سمعتها غير الطيبة.

وفي يوم كنت أتحدث مع همسة على الواتساب، وحينها وصل لي رسالة على "ماسنجر" وعندما فتحتها كانت من أمنية، كان حسابها ليس باسمها، كان باسم مستعار، لكني كنت أعلم أنه لها، وأرسلت لها لأتأكد إذا كانت هي حقًا وبالفعل كانت هي.

كانت تسأل عن أخباري وطلبت مني أن تحدثني في أمر يخصها وبالطبع رحبت بذلك؛ لكن كانت صدمتي كبيرة حين استمعت لها، قالت لي إنها تفعل شيئًا كالرذيلة مع خطيبها وأنها تحب ذلك، وقالت لي كلامًا لا تقوله فتاة في عمرها ولا حتى فتاة تكبرها، حاولت كثيرًا حينها أن أنصحها لكن بلا جدوى، كانت تزيد في الحديث أكثر، كنت أشعر أنها مغيبة عن كل ما تتفوه به، فَكيف لفتاة أن تتفوه بهذا الكلام، ثمّ أرسلت لي صورة لها وهي عارية، وبعد أن رأيتها قامت هي بحذفها فورًا، حينها كانت حالتي يرثى لها، شعرت في رعشة في جسدي والدموع تسير على وجنتيّ بغزارة وصدمتي كبيرة، فَكيف لفتاة أن تفعل ذلك في حالها، لماذا كل هذا وأين أهلها من كل ذلك؟!

حزنت على حالها كثيرًا، لكن قررت ألّا أصمت أبدًا عن هذا الشيء.

وتحدثت مع همسة عن كل ما حدث، وقررنا أن نتحدث معها ونفهم منها كل هذا، ولمَ تفعل ذلك؟ وننصحها عن الابتعاد عن كل هذا.

أنا أتذكر جيدًا أن قبل ذلك الموقف علمت من الفتيات في المدرسة أنها تتحدث مع أولاد وهي مخطوبة، وأنها تواعد شابًا في مدرسة أخرى، وبعد معرفتي بكل هذا نصحتها كثيرًا كي تبتعد عن ذلك الشاب وأن تحترم خطيبها وأهلها أيضًا، وبالفعل بعد حديث طويل اقتنعت بحديثي، وفكرت حينها أنها صارت على الطريق الصواب الآن..

لكن ما هذا الذي أرسلته لي!

وبعد حديثي مع همسة.. ذهبنا في اليوم التالي للدرس ورأيت أمنية هناك، أوقفتها وأخذتها بعيدًا عن زملائنا..

وتحدثت معها أنا وهمسة، لكن أنكرت كل هذا وقالت إنها لم ترسل شيئًا لي وأنّ أحدًا ما هكر حسابها الشخصي، لكن وماذا عن الصورة؟ فهذه هي أمنية وأيضًا من حديثها ليلة أمس ومعلوماتها عن عائلتها وخطيبها يوضح أن هي نفس الشخص فَلماذا تنكر الآن!

قلت لها :

حتى إذا كان ليس أنتِ هذا الشخص، لكن يجب أن تعلمي شيئًا كهذا سيضرك ويضر أهلك وسمعتهم وحقًا إذا كان خطيبك يحاول أن يتقرب منك هكذا فَيجب أن تضعي له حدودًا وتتركيه في الحال، أنتِ أثنى جميلة

وغالية لا تسمحي لأي شخص أن يقلل منك ولا تفعلي شيئًا يستحقرك الناس بسببه، وقبل كل ذلك لا تغضبي ربك بفعل الحرام، فمنذ بداية حياة الإنسان وهو مهدد وأمامه الكثير من التحديات والصعوبات التي تبعده عن ربه جل جلاله، فالشيطان هو العدو اللدود للإنسان، فعلى الإنسان أن يتقرب إلى الله تعالى، ويكثر من فعل الطاعات، ويتجنب معصية الخالق، وعلى كل مسلمٍ أن يحافظ على الصلاة، فهي عمود الدين، وتقربه إلى الله سبحانه، فهي الصلة بين العبد وربه، ومن عظيم شأنها أنها مليئة بالدعاء والتضرع إلى الله -تعالى- من أولها إلى آخرها، ومن يحرص على القرب من الله

- تعالى- دائمًا، يكن له عونًا وحفيظًا في كل أمر، والمقربون إليه يدخلون الجنان ويتنعمون بنعيمها في الآخرة، ويفوزون بالدنيا بالتوفيق والفلاح والنصر والتمكن في الأرض.

ونعم كلنا نخطئ... فالخطأ وارد؛ لأنّ الإنسان خلق بطبعه خطاء، والخطأ جزء من طبيعة الإنسان البشرية.

ولا يوجد أحد معصوم عن الخطأ، ومن الناس من يعتقدون أن الخطأ يتنافى مع النضج والكبر، فهذا ليس صحيحًا، وإنما النضج والحكمة لهما الدور في كيفية التعامل المتزن والهادئ لمعالجة الأخطاء والاستفادة منها.

يتعرض الإنسان في حياته إلى مجموعة من المواقف والأحداث فلا بد من حدوث الخطأ، ومن خلال أخطائنا في الحياة نتعلّم ونستفيد ونطور أنفسنا،

وعندها نتقبل الأخطاء ونعترف بها حتى لا نكررها، والاعتراف بالخطأ من الشيم الأخلاقية العظيمة التي يتّصف به الكبار كما في المقولة:
" الكبار يخطئون في العلن، ويتوبون في السر"، فَليس هناك خطأ أكبر من عدم الاعتراف بالخطأ، فَيجب أن تعترفي بخطئك ولا تنكريه.
ويوجد فرق بين الخطأ والخطيئة، حيث إنّ الخطأ يصدر من الشخص من غير قصد أو عمد ويمكن أن يصحح ويصلح من قبل المخطئ ولا يعاقب عليه شريطة ألا يعود إلى خطئه مرة أخرى، أما الخطيئة فتكون مقصودة ومتعمدة ويرتكبها الإنسان وهو على علم بأنها خطيئة هدفها إلحاق الأذى بالآخرين، وأيضًا أذى كبير لنفسك وخاصة أنّ هذه معصية لله، فَالمعصية والعصيان هو خلاف الطاعة، ويُقال عصى العبد ربه؛ أي خالف أوامره، بحيث يكون قد ترك أحد أوامر الله -عز وجل- أو أوامر نبيّه صلى الله عليه وسلم، يقول الله -عز وجل- في سورة الأحزاب: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّـهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالًا مُّبِينًا).
وورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (كلُّ بني آدمَ خطّاءٌ، وخيرُ الخطائينَ التوابونَ)، فالمعاصي لها شؤم خطير، وعقاب كبير، فقد تُهلك النفوس، وتُقسّي القلوب، وهذا لا يعني أن يستسلم الإنسان لشهواته ورغباته، بل يجب عليه أن يتصدى لها بكل الطرق والوسائل، كَالعيش مع القرآن الكريم؛ فالقرآن هو الواقي الأساسي من الشهوات والشبهات، ويجب

على الإنسان أن يعيش مع القرآن الكريم قراءةً وتدبرًا وفهمًا للآيات، ففيه ما يكفي الإنسان أن ينقذه وينجيه من ملذات الدنيا.

وأيضًا الرفقة الصالحة؛ فالمرء على دين خليله، لِذا يجب عليه الحذر ممن يرافق، لأنّ المرء يحتاج من يقويه على فعل الطاعات وترك المعاصي وليس العكس، فعلى المرء أن يكون حذرًا بانتقاء من يصاحب.

ومعصية كهذه أيضًا خدشت حياءك فَلا يكتمل جمال الأنثى إلا من خلال جمال خلقها، فَقيل: إنّ نصف الجمال في الأنثى هو ردود أفعالها، وخاصة عندما يحمر خداها، ويضيع الحديث من شفتيها.

فَكيف لكِ كَفتاة أن تتفوّهي بكلام سيِّئ وأن تقولي أنكِ تحبين شيئًا محرم كهذا..

ونساء النبي الكريم قدوة في حسن الخلق، قالت عائِشةَ -رضي الله عنها: (كنتُ أدخل بَيتي الذي دُفِنَ فيه رَسولُ اللهِ

- صلّى اللهُ عليه وسلّمَ- وأَبي، فأضع ثوبي، وأقولُ: إنّما هو زَوْجي وأبي، فلمّا دُفِنَ عُمر معهم، فَو اللهِ ما دخلتهُ إلّا وأنا مَشدودة عليَّ ثيابي؛ حَياءً مِن عُمَر).

الأموات لا يرون الأحياء والأموات بينهم وبين الناس في الدنيا برزخ كما هو صريح القرآن إلى يوم يبعثون فلا صلة بين الأموات والأحياء، ولا علم من الأموات بما يجري في الأحياء، ولكن هذا مجرد أدب من السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك المكان الذي دفن فيه عمر رضي الله عنه، وهذا يدل

على حيائها.. فَالحياء جلال النفوس يضيء بوهجه نور الإيمان، ويسري في عروق المؤمنين كالدم يضخ العفاف في القلوب، وتسكن النفوس في جنة الحسن؛ فهو كمال الجمال، وبه تسمو الأخلاق إلى القمة، وتتميز طهارة العباد، وهو طريق للإيمان، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ).

وإذا زاد الحياء يزيد الإيمان، ولقد عزّز الله الحياء في المرأة أكثر من الرجل؛ لأنّها جميلة فسرعان ما يُفتتن بها، فاقتضت حكمته أن يلبسها ثوب الحياء في قلبها منذ الفطرة تكريمًا لها.

فَيجب أن تحافظي على نفسك، وتحافظي على عبادات معينة واستمري عليها مثل: السنن، الرواتب، أو قراءة القرآن أو قيام الليل ولو بركعتين، الأذكار والاستغفار المستمر حتى لا تغفلي عن طاعة ربك وتلهيكِ دنياك عن آخرتك.

فَقيل إن الله تعالى إذا غضب على عبدٍ مِن عباده تركهُ لنفسه فهي كفيلة أن تُهلِكه."

يجب أن نقف عن تكرار الخطأ ونبعد عما يغضب الله، اختاري من تجالسين، ولكن أحسني الاختيار، وابتعدي عن رفيقات السوء مهما كانت صحبتهم حلوة وممتعة، وتذكري من ترك شيئًا لله يعوضه بالأحسن منه.

ويجب أن نكرر التوبة، ينبغي على المسلم ألّا يتخاذل أو يتقاعس عن التوبة، فتكرار المعصية يحتاج إلى تكرار التوبة النصوحة والتعجيل بها،

فالذي يرتكب المعصية مرة بعد مرة ذنبه مغفورٌ إن أعقب معصيته بتوبةٍ نصوحة، والدليل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللّهُمّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذّنْبِ، ثُمّ عَادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذّنْبِ، ثُمّ عَادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذّنْبِ، قَد غَفِرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَفْعَل مَا يَشَاء). فَالله سُبحانَه وتعالَى رَحيمٌ بعباده، وهو أرحم الراحمين، ومِن رحمته بعَبدِه أنه يقبل تَوبتَه كُلما عاد إليه تائبًا، ولو تكرر منه الذنب.

وسألتها همسة قائلة: هل تعلمين لماذا جهاد النفس صعبٌ جداً؟

هزت أمنية رأسها نافية

فقالت همسة: لأنّ الجنّةَ جزاؤها، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإنّ الجنّةَ هي المأوى.

فَلو تَأملتُ في المعاصِي، فوجدتُ أنهُ لا يمْكن لإنسانٍ أبدًا أنْ يَفعلَ مَعصِيةً إلا باستعمالِ نعمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَليه.

ألم يحن الوقت لنحاسب أنفسنا، ونقف عند كل يوم؟ فإن كان فيه خيرًا حمدنـا ربنا وشكرناه، وإن كان فيه شرًا تبنا إليه واستغفرناه !

فَنحن في هذه الدنيا في امتحان، وفي أي لحظة قد يتم سحب ورقتك وينتهي الوقت الذي خصصه الله لك، فضلاً ركزي في ورقتك واتركي ورقة غيرك، فلن يحاسب أحد على خطأ غيره ويعني بحديثي ألا تنظري لغيرك وهو يفعل الخطأ وتفعلين مثله فهذا كله لن ينفعك في الآخرة بل سيضرك، وأيضًا في الدنيا لن تسعدي أبدًا.

قلت لأمنية: وبالنسبة لخطيبك هل يحبّك؟

قالت بسرعة: نعم أنا واثقة من حبّه لي.

قلت لها: لم يحبِبْك أبدًا ولن يحبّك هل تعلمين لماذا؟

قالت: لماذا تقولين هكذا؟ !

قلت لها: إذا أحبّ الرجل المسلم لن يفعل أي شيء يغضب الله في علاقتكما لأنه سيخاف خسارتك، سيخاف أن يحرمه الله منكِ، وغير ذلك هو لم يحترمك ولم يحترم أهلك ولا حتى احترم أهله ودينه، ولم يحافظ عليكِ، فَكيف لكِ أن تقولي إنّه يحبّك وواثقة في ذلك؟!

وكررت لها سؤالي لكنها صمتت تمامًا وهي تنظر للأسفل في خجل وأسف من نفسها.

وأكملت حديثي قائلة: أربع منكن فيه كان كاملاً، ومَن تعلق بواحدة منهنّ كان مِن صالحي قومه: دين يُرشِده، وعقلٌ يُسَدِدُهُ، وحَسَبٌ يَصُونهُ، وحَيَاءٌ يَقُوده.

هل لكِ أن تقولي أين دينه عندما طلب منكِ أشياء كهذه!

وأين عقلك عندما وافقتِه!

وأين الحياء!

كانت صامتة أيضًا، فقط الدموع تسير على وجنتيها، وظلّ الصمت يسود بيننا حتى نطقت أخيرًا وقالت: أنا آسفة جدًا أعلم أني أخطأت.

قالت لها همسة: لا تعتذري منا، بل من ربك، فَاحرصي دائمًا على القرب من ربك في كل حالاتك، سعيدة كنت أو حزينة، وأكثري من العبادات التي تكون لكِ رصيدًا في الآخرة وحصنًا في الدنيا، وتوبي وبإذن الله سيغفر الله لكِ.

وفي اليوم التالي...

علمنا بانفصالها عن خطيبها وهددها بصور لها، وحكت أمنية كل شيء لوالدتها وتحدثت مع والدة "أحمد" خطيب أمنية وأنهت هذا الموضوع.

ومن بعدها بدا تغير أمنية واضحًا في ملبسها أصبح أكثر احتشامًا وأيضًا طريقة حديثها وكل شيء فيها تحسن عن قبل.

سعدت أنا وهمسة كثيرًا؛ فَكنا سببًا في تغير هذه الفتاة للأفضل وأيقنت أنّ الله اختارني أنا من بين جميع زملائنا أن ترسل أمنية لي في ذلك الوقت حتى نكون سببًا في هداها، وبالطبع الفضل الأول لله سبحانه وتعالى.

"اللهُّم أدم نِعمك علينا وأبعدنا عن كُل فِعلٍ لا يُرضيك."

****

(9)

كان خطأ أمنية من الأول أنها انصاعت لمتطلبات خطيبها، وبدأ الشيطان يحببها في ذلك الأمر؛ لكنّ الصواب إذا حاول الشاب التجاوز في علاقته مع خطيبته، يجب أن تعبر عن رفضها، وتوضح له أنّ ذلك الأمر غير مقبول، وعليه احترام رأيها وتنفيذه، وإذا تكرر التجاوز مرة أخرى، فيجب ألا تنصاع وراء كلامه، ولا تنفذ له رغبته، لأنّ ذلك يفقدها الثقة في نفسها، ويصيبها باهتزاز نفسي، ويزيد من التوتر، وتشعر بالخوف وعدم الأمان في العلاقة، وبالتأكيد يجب الانفصال، ربما يكون الخيار الأمثل، خاصةً إذا استطاعت المرأة الكشف عن نوايا خطيبها، احترامًا لذاتها وتقديرًا لنفسها، فَتعتبر فترة الخطوبة هي الخطوة الأولى في طريق الطرفين لبدء حياتهما الزوجية، ولكن هناك أمور تعرقل سريان تلك العلاقة، نتيجة لعدم رسم حدود لتلك العلاقة منذ البداية، مما يهدد بقاءَها واستمرارها، وإذا كانت العلاقة بين الزوجين تفتقر إلى الاحترام، فهذا يتسبب في حدوث الكثير من المشاكل فيما بعد، لذلك يجب التأكد من توافر هذه النقطة خلال فترة الخطوبة، فإذا اعتاد الزوجان احترام بعضهما البعض ولم يُرَ منهما إلا ذلك الخلق الحميد حتى في حال الخلاف، كان هذا أحد مظاهر الدعوة الإسلامية بالقدوة الحسنة، وسمة من سمات البيت المسلم السائر على هدى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إنّ المفتاح الأساسي للسعادة الزوجية هو الاحترام المتبادل بين الزوجين، والزوجان أقرب الناس لبعضهما، ولا تستمر الحياة الهانئة إلا بحسن المعاشرة، فالعلاقة الزوجية هي أكثر العلاقات تشابكًا وتعقيدًا، والزواج لا يعني رجلًا وامرأة وأبناء فقط، بل أسرتا الزوج والزوجة ستتداخلان في الأحوال الطبيعية كتداخل الأصابع عند تشابكها.

فيجب عليكِ أن تختاري شريك حياتك المناسب لكِ ولدينك وخلقك، وأن تنظري له أنه سيصبح أبًا لأولادك؛ فهو من سيقود الرعية فيجب أن يكون صالحًا وألا يتسم بالفسوق، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من زوّج ابنته من فاسق فقد قطع رحمه).

فالمرأة ذات الدين هي من تعين زوجها على دينه وآخرته، وكذلك الرجل هو من يعين زوجته على دينها، لقد أمرنا ديننا الحنيف أنّ اختيار شريك الحياة لابد أن يعتمد على الأصل الطيب، وأن تكون المرأة من أهل بيت دين وصلاح؛ لأنها تتولى مسؤولية تربية الأبناء، فلو لم يكن أصلها طيبًا سيعود ذلك على الأبناء؛ فالطفل يجب أن ينشأ في أسرة ذات أصل حسن حتى ينهض بالأمة، وكذلك لابد أن يكون الزوج متبعًا لتعاليم دينه، وذا خلق رفيع، كما يجب أن يشهد له الجميع بأمانته حتى يكون أمينًا على زوجته، وقد ورد في حديث صحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا أن تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

ومن أسس العلاقات الناجحة اختيار الشخص الصادق، فالصدق يساعد على زيادة الثقة بين الطرفين، ويجب على كل فرد في العلاقة أن يعرف مسؤولياته المستقبلية، ويتقبلها ويتحملها مع مرور الوقت.

وبعد انتهائنا من الصف الثالث الثانوي، حصلت أمنية على الدبلوم ولم تلحق بالجامعة، ورزقها الله بزوج صالح وسعدت كثيرًا لأجلها، فهي تستحق أفضل شخص، نعم ولو حتى أنها أخطأت كثيرًا في حياتها؛ لكن الأهم أنها عادت لربها وتعلمت من خطئها.. والتحقتُ أنا وهمسة بالجامعة بعد حصولنا على مجموعٍ عالٍ، فَكنا دائمًا نشجع بعضنا على التقدم، وهمسة كانت دائمًا بجواري، كنت أشعر بعض الأحيان باليأس لكنها الصديقة الحقيقية والداعمة والمشجعة لي، والسند الحقيقي لي والتي تشاركني الأحزان والأفراح، فَيجب أن تختار علاقاتك وأصدقاءَك بحذر .

فَإذا كانت الدائرة التي حولك صالحة سوف تكون مثلهم، فحاول أنت أيضًا أن تكون صديقًا صالحًا لهم، وابتعد عن العلاقات المؤذية.

وبالطبع يجب أن تعلم أنّ ليس كل صديق يصلح أن يكون بئرًا للأسرار لصديقه، وله معايير واضحة حيث إنّ البعض قد يتفاجأ الشخص بغدر أصدقائه بعد صداقة تربطهما تصل سنوات طويلة وهو الأمر الذي يؤدي لصدمة كبيرة، ولكن الأمر ببساطة يعود لعدم إدراكنا وفهمنا ومراقبة تصرفات أصدقائنا أو منح الثقة للصديق بنسبة كبيرة وهو لا يستحقها، فكل ذلك يتوقف عن اختيارك له منذ البداية.

على كل شخصٍ أن يختار من يُخالل وأن يتريّث في اختياراته وأن يُمعن فيها النظر جيدًا، فالصديق ليس بضاعة تُستبدل ولا هو ظرفٌ طارئ يتخلص منه الإنسان بلحظة، فالصديق من عادته المكوث مع صديقه، وهذا يُبرز الأهمية الكبرى لاختيار الأصدقاء بالشكل الصحيح، وأول ما يجب الانتباه إليه هو الأخلاق، فالأخلاق زينة الإنسان، والصديق الذي يحمل الأخلاق النبيلة والصفات الراقية ينقل أخلاقه لصديقة دون أن يشعر، كما يجب أن يكون الصديق ملتزمًا وقريبًا من ربّه، فالتمرّد والانحراف مثل المرض المعدي، ينتقل بين الأصدقاء ويُصيبهم، وإن لم يكن الصديق سويًا وملتزمًا، فلا بُدّ من الابتعاد عنه وتغيير الدرب الذي يسير فيه، فَعند اختيار الصديق لا بُدّ من البحث عن غاية سامية من الصداقة، فالصداقة القائمة على حبّ الخير والإيثار للصديق، هي بحق صداقة قائمة على قاعدة ثابتة وأصلٍ متين، أما الصداقة القائمة على الغيرة والحسد هي صداقة هشة لا خير فيها ولا فائدة منها، وعلى كل شخصٍ أن يستفتي قلبه في صديقه وأن يختبره بتجرّدٍ وحذرٍ ليعرف ما إن كان اختياره صحيحًا أم لا، فالشعور بالوحدة والبقاء دون صديق، خيرٌ من صديقٍ يملأ حياة صديقة نفاقًا وفوضى، والعبرة في نوعية الأصدقاء وليس في عددهم، والعبرة أيضًا في شخصياتهم وانتماءاتهم، فصديقٌ عاقلٌ واحدٌ خيرٌ من عشرة أصدقاء جاهلين لا يحفظون العهد، فَقيل عن الصديقة أنها اليد اليمين.. ضلع ثابت

لا يميل، قطعة من الجمال تورد لك الحياة.. جزء من الروح، وأنا كل روحي هي همسة فَكانت ومازالت خير صديقة لي.

وأتمنى أن يحصل الجميع على صديقة مثلها فهي كالنعمة والرزق في حياة أي شخص.

ابتسمت حين تذكرت كل ذكرياتي مع همسة واتصلت بها حتى أخبرها بخبر حملي وبالطبع لم أتفوّه بشيء عن مرضي لأنها سوف تقلق كثيرًا، ويمكن أن تفعلها وتخبر فادي أو أهلي، وسعدت كثيرًا بهذا الخبر، وتحادثنا أكثر من ساعة حتى اضطرت أن تغلق لتحضر الطعام لأطفالها "آسر وسيليا"

آسر عمره سبع سنوات وسيليا أربع سنوات.

أحبهم كثيرًا فَدائمًا أرى فيهم نفس صفات همسة وأيضًا والدهم.. أسمع دائمًا من همسة عن مدى خلقه الحميد وأيضًا هذا ما رأيته منه.

فالشيخ "هاني" زوج همسة هو مؤذن في المسجد، وقد كان هذا حلمها أن يكون زوجها ذا صوت عذب في قراءة القرآن الكريم وأيضًا بارك الله فيه فهو خاتم للمصحف كله.

وبعد أن أغلقت معها المكالمة أخذت دواء القلب الذي وصفه الطبيب لي وأخفيته حتى لا يراه فادي..

وفتحت الدرج حتى أحضر مذكرتي وأدوّن بها؛ لكن رأيت ذلك المصحف بجانبه وتذكرت قصة هذا المصحف..

أعطاه لي فادي مع قطع من الشوكولاتة في اليوم الذي انتقلت فيه لمنزلهم لكن ذلك المصحف شكله ليس بجديد..

سألته: ما هذا؟!

قال لي: مصحف.. نعم هذا مصحف قديم ومع نهاية كل سورة ستجدين رسالة لكِ، اقرئي كل يوم سورة وكل يوم ستجدين رسالتك وإياكِ أن تبدئي بالناس.. ابدئي بسورة الفاتحة وبعدها آخر رسالة في المصحف مع آخر سورة سوف تجدين لك هدية.

مرت الأيام وعندما وصلت لسورة الناس وجدت رسالة مدوّن فيها: "لكِ عهد الله مني ألا أخون وأن أصون ما تلوت من القرآن فهو ذاك المصحف الذي سهرت أقرأه في القيام لكي يرزقني الله بكِ."

ومن بعدها احتفظت بهذا المصحف ودائمًا كنت أحب القراءة فيه.

أمسكت به وقرأت الورد اليومي، وبعدها اتصل فادي وأخبرني أنه دلف لمنزل والدته.

ليطمئن على صحتها وأعطاها الهاتف وأخبرتها بخبر حملي، وسعدت كثيرًا به.

أنا حقًا أحبّ خالتي فريال جدًا، حتى بعد زواجي لم تتعامل معي مثل الحموات فكانت مثل الأم لي وحنونة كثيرًا، وعندما يكبر الخلاف بيني وبين فادي كانت تقف معي وتصلح ما بيننا، وحتى إذا كان المخطئ أنا؛

لكنها كانت تخبرني بخطئي ونحن بمفردنا، وكذلك تخبر فادي بخطئه بعيدًا عني حتى لا تكبر المشاجرات بيننا ولا تحرج كل منا أمام الآخر.

حماتي هي أكثر شخص.. يعمل ليلًا ونهارًا على تقارب القلوب من بعضها.. وتريد أن ترانا أفضل عائلة، هي هدية من الله لا تشبه غيرها من الحموات، تعاملني دائمًا مثل ابنتها، وأتمنى أن يرزقها الله بأشياء تأتي من فوق السماء كالرضا، كالحظ، كالجنة.

من نِعَم ربنا على كل فتاة، أن تُرزق بعائلة زوج تكن لها بمثابة عائلة ثانية.

****

(10)

بدأت أدوّن في مذكرتي:

الحنية والطبطبة فطرة، الإنسان العطوف الطيب الذي يعلم بمواساة غيره..

ويقول لك: "اهتمِمْ بنفسك وحافظ عليها"

هو نفسه الشخص الذي يمسح على كتفك ورأسك، وعندما يراك تبكي يأخذك في أحضانه ويواسيك ..

دائمًا يقول لك: "احكِ لي ما بك.. أنا بجوارك وأسمعك وسوف أفهمك."

فَهذا الشخص نعمة من الله..

ليس أي شخص له هذه القدرة، يوجد أُناس لديهم جمود تجاه الآخرين حتى إذا تأثروا من داخلهم..

لا يعرفون أن يهونوا عليك ويسمعوك..

لا يعرفون أن يخترقوا الجبل والهمّ الذي فوق الرّوح ويجعلونك تحكي وتتحدث..

العواطف من الصعب أن تكتسب.. الرحمة والمودة لا يمكن تمثيلهم، فهما متلازمتان في الإنسان تكبران معه مثل صوته وشكله ولونه.

فَيجب أن تبحث على أُناس صافية وحنونة من داخلها.. أُناس يشبهونك، وتخفف عنك.. فهم الرزق في هذه الدنيا.

أغلقت المذكرة وأنا أتنهد براحة، وتحسست بطني بيدي، وأنا أحدث جنيني قائلة بابتسامة: أعلم أني من الممكن ألّا أراك أبدًا بعد ولادتك؛ لكن يجب أن تعلم أنّ أمك تحبك كثيرًا.. قبل الحمل كنت أريدك، وعندما حملت بك في وقت مرضي لم أقدر على فكرة التخلي عنك، وها أنا الآن مستعدة للتضحية بروحي من أجلك صغيري.

سمعت صوت مفاتيح فادي عند فتحه للباب..

احتضني وقال لي بحبٍّ: أنا آسف يا حوريتي بسبب تأخري عليكِ وتركتك كل هذا الوقت بمفردك.

قلت له بدلال: لا أنا حزينة.. هل يرضيك ما فعله فدوتي بي؟ لقد تركني بمفردي أنا وصغيره الذي لم يأتِ بعد، ولن أسامحه حتى يشتري لي شوكولاتة كثيرة..

ضحك على طريقتي الطفولية ثمّ قال: كنت أعلم ولذلك فَأنا اشتريت لكِ شوكولاتة لتسامحيني، وأهداني إياها ثمّ أكمل حديثه قائلًا: هل سامحتِني الآن يا طفلتي؟

أومأت رأسي بنعم وقبلته ثمّ قلت له ضاحكة: إلى متى ستدللني هكذا يا فدوتي؟

قال بحب: إلى الأبد يا حوريتي، والآن طفلنا الثالث الذي أنتظر ولادته بفارغ الصبر في أحشائك، وهذا سبب إضافي لأدللك أكثر، وأحبك أكثر.

دفنت رأسي داخل أحضانه والدموع في مقلتي، فَأنا حقًا لا أريد أن أبتعد عن فادي وعن تيا وتقي وطفلي القادم..
لكني لست معترضة على قضاء الله وقدره فَأنا راضية على ابتلائه، فالحمد لله على كل حال.

"الحياة يمكن ألّا تسير كما تريد؛ لكنّها ستسير مثلما أراد الله، والله يريد لنا الخير، ولذلك يجب أن نرضى بقضائه."
وفي المساء جمعت عائلتي وأخبرتهم بخبر حملي، ورأيت السعادة في أعينهم، وكنت أتمنى أن أعيش أكثر وأرى فرحتهم أثناء ولادتي؛ لكن إذا مت!
مرت أشهر الحمل الأولى كالعذاب بالنسبة لي، كنت أقاوم كثيرًا حتى يعيش طفلي، كان وجع قلبي لا يحتمل، وأيضًا كان الحمل صعبًا جدًا لحالتي.
كنت أواظب دائمًا على قيام الليل، فهي معروفة بسرها أنّها تشفي كلّ شيء، فَقيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنّفع في دُنياه، وآخرته، ولقيام الليل فضائل عظيمة وجليلة، فيها خير وفضل للمؤمن في أي وقت من أوقات الليل، إلّا أنّ الثُلث الأخير من الليل هو أفضل الأوقات وأشرفها؛ إذ يتجلّى الله -سبحانه وتعالى- في هذا الوقت على السماء الدُنيا، قال -عليه الصلاة والسلام-: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلّ لَيْلَةٍ إلى السّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له).

وقيام هذه الساعة فيه خير كثير.

يمتدُّ هذا الوقت المبارك حتى طلوع الفجر، وفي ذلك دليل على رحمة الله -تعالى- ولُطفه بعباده؛ ليتّسِع لهم وقت مُناجاته، وليسألوه من خيرَي الدُّنيا والآخرة، وفي ذلك حَثٌّ للعباد على استغلال هذا الوقت في الدُّعاء، والاستغفار؛ ابتغاء استجابة الله -سبحانه وتعالى-، اكتشف أحد العلماء أنّ الصلاة في جوف الليل تشفي الأمراض الميؤوس شفاؤها، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة قيام الليل: (دأب الصالحين وشفاء من الأسقام.(

فإذا كان الإنسان واقفًا منضبطًا أثناء صلاته كأن تكون قدماه في محاذاه كتفيه ومستحضرًا لعظمة المولى عزّ وجلّ، فيخرج من جمجمة رأسه شعاع أثناء الركوع والسجود، فأتى أحد العلماء بالحالات المريضة الميؤوس من شفائها ونصحهم بالصلاة في جوف الليل فوجدهم يشفون شيئًا فشيئًا فاستنتج من هذا أنّ الصلاة في جوف الليل يخرج من جمجمة الإنسان إشاعة، فضلًا عن أن بعض الأمراض كالسرطان تحتاج الى إشاعة حتى يخففوا من هذه الآلام فهذه الأشعة صنعها إنسان فما بالك بالأشعة النورانية التي تشهدها هذه الصلاة، لذلك قال رسول الله عنها إنّها دأب الصالحين وشفاء للأسقام، وعلم العارفون أنّ قيام الليل مدرسة المخلصين، ومضمارُ السابقين، وأنّ الله تعالى إنما يوزع عطاياه، ويقسّم خزائن فضله في جوف الليل، فيصيب بها من تعرض لها بالقيام، ويحرمُ منها الغافلين

والنّيام، وما بلغ عبدٌ الدرجات الرفيعة، ولا نوّر الله قلبًا بحكمة، إلّا بحظٍ من قيام الليل، والسرُّ في ذلك أنّ العبد يمنع نفسه من ملذّات الدنيا، وراحة البدن؛ ليتعبّد لله تعالى، فيعوضه الله تعالى خيرًا مما فقد، وذلك يشمل نعمة الدين، وكذلك نعمة الدنيا، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأربعة تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخره."

وقال: "ولا ريب أنّ الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه، وفضلاته، ما هو من أنفع شيء له، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن، والروح، والقلب."

ولهذا لا تجد أصح أجسادًا من قوّام الليل، ولا أسعد نفوسًا، ولا أنور وجوهًا، ولا أعظم بركة في أقوالهم، وأعمالهم، وأعمارهم، وآثارهم على الناس، وقوّام الليل أخلص الناس في أعمالهم لله تعالى، وأبعدهم عن الرياء، والتسميع، والعجب، وهم أشدّ الناس ورعًا، وأعظمهم حفظًا لألسنتهم، وأكثرهم رعاية لحقوق الله تعالى، والعباد، وأحرصهم على العمل الصالح.

والأفضل في صلاة الليل أن تكون مثنى مثنى، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: «صلاةُ اللّيل مثنى مثنى، فإذا خَشي أحدُكمُ الصُبح، صلّى ركعةً واحدةً تُوترُ له ما قد صلّى وأقل الوتر ركعة واحدة يصليها بعد

صلاة العشاء، فإن أوتر بثلاث ركعات فالأفضل أن يسلّم بعد الركعتين ويأتي بواحدة، وإن أوتر بخمسة فيسلم بعد كل ركعتين ومن ثمّ يأتي بركعة واحدة، ويراعي في صلاته الطمأنينة وعدم العجلة والنقر، فيخشع في صلاته ولا يتعجل فيها، فأن يصلي عددًا قليلًا من الركعات بخشوعٍ وطمأنينةٍ؛ خيرٌ له مما هو أكثر بلا خشوع.

ولقد أثنى الله على مَن يقومون الليل، ووعدهم بالجزاء الوافي؛ قال -تعالى-: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا*فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

بيّنَ الله -تعالى- أنّ قيام الليل من علامات المتقين، وهم يتّقون بقيام الليل عذابَ الله -تعالى-، ويرجون أن تكون لهم الجنة، وهي صفة من صفات عباد الرحمن الصالحين؛ قال -تعالى-: (إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ*آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ*كَانُوا قَلِيلًا مّنَ اللّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ).

لقد فضّلَ الله -تعالى- الذين يقومون الليل على غيرهم من الناس بالأجر والمكانة عنده؛ فقال: (أَمّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنّمَا يَتَذَكّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ).

وبيّنَ النبيّ -عليه أفضل الصلاة والسلام- أنّ قيام الليل من أسباب دخول الجنّة، وهو وعد من الله لعباده؛ قال -صلّى الله عليه وسلّم-: (أيُّها النّاسُ

أفشوا السّلامَ وأطعِموا الطّعامَ وصلُّوا والنّاسُ نيامٌ تدخلوا الجنّةَ بسلامٍ)، ولا تكون ثمرة قيام الليل في الآخرة فقط؛ فالذي يقوم الليل يشعر بحلاوة ولَذّة، وراحة وسكينة في الدُنيا أيضًا.

وبين النبي -عليه الصلاة والسلام- أنّ أفضل الصلاة بعد صلاة الفرض هي صلاة قيام الليل؛ حيث قال -عليه أفضل الصلاة والسلام-: (وأَفْضَلُ الصّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللّيْلِ).

وضّحَ النبيّ -عليه الصلاة والسلام- أنّ قيام الليل شَرَف المؤمن وعِزّه؛ فهو إثبات حُبّه لله -تعالى-، وإخلاصه له، وإيمانه به، فيُجازيه الله؛ فيرفع مكانته ومنزلته، وهو من الفضائل التي يستحق أن يُغبَط عليها المسلم؛ قال -صلّى الله عليه وسلّم- فيما يرويه عن جبريل -عليه السلام-: (شرفَ المؤمنِ قيامُهُ بالليلِ).

وأيضًا بيّن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنّ قيام الليل سبب لتحقيق رحمة الله -تعالى- بالعبد، وبالأمّة.

حيث قال -عليه الصلاة والسلام-: (رحمَ اللّهُ رجلاً قامَ من الليلِ فصلّى وأيْقظَ امرأتَه فصلتْ فإن أبَتْ نضحَ في وجهِها الماءَ، رحم اللّهُ امرأةً قامتْ من الليلِ فصلّت وأيقظتْ زوجَها فصلّى، فإن أبَى نضحتْ في وجهِه الماءَ).

وقد أوصى -عليه أفضل الصلاة والسلام- أمته بأن يقوموا الليل لتتحقق لهم فضائل قيامه.

(11)

فَقيـام الليـل بنسبة 100٪ هو أهم أدوات السعي لكل شيء أنت تريده، فكرة الخلوة بِالليل بِنفسك والناس نيام من حولك، وأنت تنهض لتصلي وتدعو وتبكي.. كفيلة بأنها تصلح كل شيء تدهور عندك (نفسيًا ومعنويًا وماديًا.(

قال أحد السلف: (أتعجبّ ممّن له عند اللّه حاجة كيف ينام وقت السحر). يكفيك ربع ساعة أو تلت ساعة فقط من الليل تركع للّه فيهم، فاحفظها جيدًا: سهام الليل لا تُخطئ الهدف أبدًا حتى وإن لم تصبه إصابة كاملة.

المفرح في الأمر.. بقي يومين فقط على قدوم شهر رمضان المبارك، يُعد شهر رمضان المبارك أفضل الشهور على الإطلاق، وقد خصّ الله -سبحانه وتعالى- هذا الشهر بمزايا عديدة، وجعل الأجور فيه مضاعفة، وقذف حبه في قلوب العباد، فالمسلمون في كل بقاع الأرض يبتهجون لقدوم هذا الشهر العظيم، ويتجهزون لاستقباله بشتى الوسائل والطرق، ويفرحون بالعيش في ظلاله، فصيام رمضان ركن من أركان الإسلام، وهو فرض على المسلمين، ويسمّى شهر رمضان بشهرِ القرآن؛ ففيه أُنزِل على رسولنا الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم، وكان يتدارسه مع جبريل -عليه السلام- في ليالي

رمضان المباركة، ويُطلق عليه أيضًا شهر القيام، لأن هذه العبادة تكثُر فيه.

حيث إنّ شهر رمضان المبارك هو شهر الخير والغفران والبركات التي تكثر فيه الحسنات، شهر رمضان الكريم من أجمل الشهور الهجرية، شهر مليء بالخيرات يتبادل فيه الناس التهنئات والمحبة، حيث يتميز بالأجواء الروحانية منها صلاة التراويح وتزيين الشوارع.

ويتميز شهر رمضان المبارك عن باقي شهور السنة بالجو الروحي الذي نجده في صلاة التراويح في المساجد، ومناجاة العبد لربه الاستغفار، حيث يتوق المسلمون لختم القرآن في شهر رمضان، وتتجمع العائلات على مائدة الإفطار وهذا يقربهم من بعضهم البعض ويزيد المودة والمحبة، لأنّ رمضان حقًا هو شهر اللطف والإحسان.

والعبادات في شهر رمضان الصلاة على وقتها، وأدائها جماعةً في المسجد، والإكثار من قراءة القرآن الكريم، وتدبره، وإفطار الصائمين، وهي عبادة عظيمة، يؤجر عليها صاحبها بمثل أجر الصائمين لا يُنقَص من أجرهم شيئًا.

وأيضًا الزكاة والصدقات للفقراء والمساكين، فهم أحوج ما يكونون لذلك في رمضان.

وبالطبع قيام الليل، والحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من الشهر.

ويجب ذكر الله سبحانه وتعالى، والدعاء في كل وقتٍ وحين، والإكثار من النوافل.

فمن فضائل شهر رمضان.. مغفرة الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: (مَن صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تقدّمَ من ذنبِهِ، ومَن قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدّمَ من ذنبِهِ).

وغاية الصوم في شهر رمضان التقوى، وهي التي تدفع صاحبها لطاعة الله سبحانه وتعالى، وتُبعده عن المعاصي، فتكون لهم بذلك وقايةً من الذنوب والمعاصي، وسبيلًا لترك الشهوات والمنكرات.

استشعار مراقبة الله تعالى

الصّوم عبادةٌ لا يعلم صدق العبد فيها إلا الله.

وكسب الثواب الكبير عند بلوغ ليلة القدر

ليلة القدر أشرف الليالي؛ إذ فضلها الله -سبحانه وتعالى- على غيرها، وجعل أجر العبادة فيها عظيمًا يعادل عبادة ألف شهرٍ ويزيد، إذ ذكر الله -تعالى- منزلتها، وفضل قيامها؛ إذ يُضاعف الله -سبحانه وتعالى- أجر الأعمال الصالحة في هذه الليلة، فأجر العبادة فيها خير من أجر العمل في ألف شهر.

قال -تعالى-: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ).

فَليلة القدر هي ليلة السلام، إذ يبارك الله -تعالى- فيها الأرض بنزول الملائكة؛ فيعم الخير والسلام، وتعمّ الرحمة؛ فيشعر فيها المؤمن بالطمأنينة والسلام، قال -تعالى-: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

ووُصفت بالسلام؛ لسلامة العباد من العذاب؛ بطاعتهم لله، فهي ليلة تفصل فيها الأقدار، وتتنزل من اللوح المحفوظ إلى صحف الكتبة من الملائكة، وهذه الأقدار تتضمن أقدار العباد من أمور الدنيا؛ كالرزق، والأجل، والحوادث، وغيرها..

قال -تعالى-: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ).

إنّها الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم..

قال -تعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ). فهي ليلة مباركة الأجر لمن قامها، وعمل فيها بالخير، وقد وُصِفت بذلك في القرآن الكريم، قال -تعالى-: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ).

وقررت أن آخذ خطوة جديدة في حياتي، وأيضًا في أول يوم من شهر رمضان المبارك حتى يتضاعف الأجر، وهذه الخطوة كنت أتمناه منذ زمن.

وهي "ارتداء الخمار والزيّ الشرعيّ"

-أتذكر جيدًا ذلك اليوم عندما كنت أتفقد الفيس بوك وقرأت "اسكريبت" رائع جدًا لحبيبة ماهر محمد، كان مدون فيه: أحيانًا قد نلتقي بِأشخاصٍ صُدفة لم نرَهُم من قبل، نظنه لِقاءً عابِرًا وقد يُنسى، ولكِن هذه ليست

صُدفة، إنما تدبيرٌ مِن ربٍ رحيم، أرادَهُ لنا؛ لِيكون سببًا في تغيير مَسار حياتِنا !

حماس: أُمِّي، سأذهب الآن.

فِردوس: حسنًا بُنيّتي، رافقتكِ السَّلامة .

خرجت "حماس" من بيتها مُتوجهة إلى محطة القطار، في غضون عشر دقائق كانت قد وصلت إليها، فَـمنزلها لا يبتعد كثيرًا عن تلك المحطة، جلست على إحدى مقاعد تِلك المحطة تنتظر القطار، وضعت السماعات في أُذنيها تستمع إلى إحدى الأغاني، بعد مرور عدة دقائق وصل القطار؛ نهضت "حماس" لِركوبهِ، جلست على إحدى المقاعد في هدوء.

كانت "حماس" شاردة تنظُر من نافذة القطار إلى أن فاجأها جلوس فتاة تعجَّبت من هيئتها، كانت ترتدي وشاحًا فضفاضًا أسود اللون، ينسدل فوق رأسها خِمار يمتلك ذات اللون، ونِقابٌ يُخفي ملامح وجهها، وذاكَ القُفاز الأسود الذي يستُر يديها، أخذت "حماس" تتطلع إليها إلى أن لاحظت الفتاة نظراتها إليها، ارتبكت "حماس" وعادت تُحدق من نافذة القطار مرَّة أُخرى، ابتسمَت الفتاة من تحت نِقابها، تحرَّك القطار ثُم باشرَت الفتاة بالحديث مع "حماس" قائلة: ما اسمك يا صديقتي؟

تعجَّبت "حماس" مِن مُناداتِها بِصديقتي، صمتت هُنيهة ثُم تحدثت قائلة: أُدعى "حماس."

_الفتاة: اسمكِ جميل.

_حماس: شُكرًا لكِ، وأنتِ؟

_الفتاة: الشُكر للّه، أُدعى "نِضال"، أيُمكنني أن أطرح عليكِ سؤالًا؟

_حماس: تفضَّلي.

_نِضال: زادكِ اللّه مِن فضلِه، لِمَ كُنتِ تُحدِّقين بي عِندما جلستُ هُنا؟ لاحظت تعجبكِ الشديد!

_حماس: سأقول لكِ، تعجبت مِن هيئتكِ تِلك، مِن ملابسك، كيف تتحملينها في هذا الحر؟

وفي ذات الوقت هُناك مَن لا تحتمل قطعة قُماش على رأسها.. مِثلي! فأنا لا أحتمِل هذا الحِجاب.

_نِضال: أصبِرُ على الحرارةِ هُنا، حتى لا يُلقى بي في نار الآخرة!

_حماس: ولكِن ترتدين ملابس فضفاضة للغاية، يُمكنكِ ارتداء بِنطالٍ، ورِداءٍ طويلٍ بعض الشيء عليه.

_نِضال: ولكن لم يكُن هذا حديث رسولِنا الكريم -صلَّ اللّه عليهِ وسلَّم-، فقد مُنعنا مِن ارتداء البنطال؛ لأنَّهُ تشبُّه بالرِجال.

_حماس: كيف هذا؟ ليس في البنطالِ عيب حتى نُمنع عن ارتدائه! كما أنّ هذا الرداء الفضفاض والطويل يمنع الحركة، يُشعر الفتاة وكأنَّها مُقيدة في حركتها.

_نِضال: يكفي أنّ اللّه أعطانا أمرًا، حينها يجب علينا أن نطيعُه، وكُل أمرٍ هو لِصالحنا؛ فأمرنا اللّه بالفضفاض كي يحجُب عنَّا أعيُن الشَّباب، حتى لا

نكون سِلعة لكُل المارَّة، كرَّمنا اللَّه ومُنِحنا قدرًا عاليًا، فكيف لنا أن نُدنِّسهُ بهذا البِنطال؟

_حماس: ولكن فُرِض على الرِجال غض البصر، لِمَ لا يلتزموا بِما أمرهُم اللّٰه، ونرتدي نحنُ ما نبتغي؟

_نِضال: لم يفرِض اللّٰه على الرِجال فقط غض البصر، بل علينا نحنُ أيضًا..

كما قال في سورة النّور: "قُل لِّلمُؤمِنِينَ يَغُضُّواْ مِن أَبصَٰرِهِم وَيَحفَظُواْ فُرُوجَهُم ذَٰلِكَ أَزكَىٰ لَهُم إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصنَعُونَ * وَقُل لِّلمُؤمِنَٰتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَٰرِهِنَّ"

وكما فُرِض عليهِم غض البصر، فُرِض علينا نحنُ الستر، ولو غضَّ كُل رجلٍ بصره، سَتُحاسب كُل فتاة عن تبرُّجها وعِصيانِها لأوامِر اللّٰه، ولو تستَّرت كُل نِساء الأرض، سَيُحاسب كُل رجلٍ على عدم غض البصر .

_حماس: وحتى وإن كان الأمر كذلك، كيف ستترُك الفتاة زينتها خارِج البيت وقد اعتادت على ذلك؟ فالأمرُ شاق.

_نِضال: حُب اللّٰه.

حُب اللَّه يُيسِّر جهاد النَّفس على أن تعصي هواها لأجل رِضا اللّٰه، جِهاد النَّفس قد يكون ثقيلًا عليها، لكنَّ الجزاء في نهاية المطاف هو الجنَّة!

كما قال اللَّه تعالى: "وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفسَ عَنِ ٱلهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلجَنَّةَ هِيَ ٱلمَأوَىٰ"

كم في هذهِ الآية مِن طمأنينة!

جنَّة عرضُها كعرض السماوات والأرض، أعدَّها اللَّه لِلذين تركوا هواهُم وساروا نحو رِضاه، الجنَّة هي المُبتغى الحقيقي، هو الهدف الأساسي الذي يجب أن نسعى إليه.

_حماس: وكيف لنا أن نلتزم بِهذا الرِّداء الشَّرعي في ظِل ما تُحيطنا آراء النَّاس التي تتصِف بالسُخرية والاستهزاء مِمن يُحاول الالتزام بمنهج الله؟

_نِضال: وما بالُنا والنَّاس؟

سَنُحاسب وحدنا، سيبتلعُنا الظَّلام في القبر وحدنا، سنقف أمام اللَّه حين تُعرض أعمالنا عليه كُل فردٍ على حِدة، سنعبُر الصِّراط وحدنا، في ذاك اليوم سيُلهى كُل ذي شأن بِشأنِه، ولا يلتفِت إلى أحد، فلِمَ نلقى لهُم بالًا في هذهِ الدُنيا؟

_حماس: الأمرُ ليس بهذهِ السّهولة، قد تكون كلمة واحدة سببًا في تردُّدكِ عن هذا الطَّريق، لن تتحملي حديثهُم .

_نِضال: وإن ترددتِ عن هذا الطريق؛ فستتحملين عواقبهُ وحيدة، لا تتحمَّلي لسعة كوبٍ مِن الشاي، فكيف بنارٍ تستعر؟ ماذا عن وقوفك أمام اللَّه وحيدة عندما يسألكِ لِمَ لمْ تلتزمي بأوامري؟ ماذا ستقولين لهُ؟ خِفتُ من حديث النَّاس الَّذي لا يعني شيئًا؟

_حماس: حسنًا، ولكن ما المانع في ارتداءِ حِجابٍ دون إخراج بعض الشُعيرات منهُ؟ بدلًا من ارتداء الخِمار.

_نِضال: لأنّ هذا الحِجاب لا يُسمى حِجابًا، لم يكُن من المواصفات الذي ذكرها الرَّسول الكريم -صلى اللّه عليهِ وسلَّم- هذا الحِجاب الَّذي ينتشِر في هذهِ الأيام لا يُدعى حِجابًا، فالشُعيرات التي تخرُج منهُ، أو العُنُق الذي يبرُز من أسفل الحجاب، لا ينطبق أبدًا على مواصفات الزيّ الشرعيّ.

_حماس: وما هي مواصفاتُه؟

_نِضال: لا يصِف، أيّ لا يكون مُجسِّمًا ومُفصلًا على جسدك، ألَّا يكون شفافًا، أيّ لا يظهر من أسفلهِ شيء، غير مُتشبهٍ بملابس الرِجال كالبنطال، ألَّا يكون زينة في نفسِه، ألا يكون مُعطرًا، لأن العطر حُرِّم خارج البيت أو أمام الرِجال غير المحارم، كما أخبرنا الرَّسول 'صلى الله عليهِ وسلَّم': "أيُّما امرأة استعطرت فمرَّت على قومٍ لِيجدوا ريحِها فهي زانية، وكُلُّ عينٍ زانِيَة". لكِ أن تتخيَّلي أن بضع رشَّاتٍ من العطر؛ قد تكون سببًا في ارتكابك كبيرَة مِن الكبائر دون أن تفعليها، وهي الزنا!

ذُهلت "حماس" لأنها لم تكُن تعلم بِهذا الأمر من قبل، أردفت قائلة: ولكِن ماذا إن مللنا يومًا؟ أو رأينا فتاة في كامل زينتها فدعتنا أنفسنا إلى التشبُّه بها؟

_نِضال: هذهِ تكون اختبارات مِن اللّه لكِ لِيختبر إن كُنتِ صادقة في نواياكِ المُخلصة لهُ وحدُه، أم أن مع أول اختبار قد يُعرض عليكِ ستندرجين تحت شهواتكِ وتنحرِفين عن وجهتكِ الأصلية وهي رِضاه؟

_حماس: وهل يوجد نوايا عند ارتداء الزيّ الشرعيّ؟

_نِضال: بالطبع، فقد ترتديهِ إحداهُن إعجابًا بمظهرها الجميل بهِ، أو لِتنال تقديرًا من النَّاس، يجب أن تكون النية مُخلصة للّه وحدُه، عليها أن تُجدد نيَّتها من حينٍ لآخر أنها ترتدي هذا الرداء لِأجل رِضا الله، ولِأجل أن تتشبَّه بِأُمهات المؤمنين والصَّحابيَّات؛ حتى لا تكون نيّتها غير مُوجهة لله، وتُفتَن في دينِها.

_حماس: ولكِن هل يجب على الفتاة ارتداء النِّقاب؟

هو ليس بِفرض!

_نِضال: انقسمت آراء الأئمة الأربعة إلى قسمين، فمنهُم من قال إنَّه فرضٌ على أُمهات المؤمنين فقط، وسُنَّة لنا، ومنهُم من قال إنَّهُ فرضٌ على نِساء المؤمنين جميعهُن، كما وَرَدَ في سورة النّور: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"

وقد فسَّر العُلماء الجلباب بأنَّـهُ رِداء ينسدل مِن أعلى رأس وحتى القدمين، ولا يُظهر من المرأة شيئًا.

وحتى وإن كان سُنة، فهذا سببٌ لكي نتركُه؟

إن كان سُنة فهذا سبب أكبر يجعلُنا نتمسَّك بهِ اقتداءً بِأمهات المؤمنين، والسُنن تُقرِّبُنا للّه وتكون سببًا في حُبهِ، ألا يكفي هذا لنرتديهِ تقرُّبًا وحُبًا لهُ؟

وإن كان فضلًا فنحنُ لسنا في غِنى عن فضل الله.

كما أنّ الرَّسول 'صلى اللّه عليهِ وسلَّم' قال: "يُحشر المرء مع مَن أحب."
فنحنُ أحببناهُم؛ فاقتدينا بهِنَّ؛ لِنُحشر معهُنَّ، ندخُل الجنَّة في صُحبتهُم، ويا لهُ مِن شرفٍ ننالهُ!

_حماس: وهل يقبل اللّه المُتبرجة؟ أيّ يمُن عليها بارتدائه بعدما ارتكبت هذا الذَّنب الكبير؟

_نِضال: "وَهُوَ ٱلَّذِي يَقبَلُ ٱلتَّوبَةَ عَن عِبَادِهِۦ وَيَعفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعلَمُ مَا تَفعَلُونَ"
يقبلُها لأنَّهُ اللّه الَّذي يغمُرنا بِرحمتهِ؛ فيغفر لنا ما مضى، ويُعيننا على ما هو آتٍ .

رانَ عليهِما صمتٌ قصير، انغمست "حماس" في أفكارها في هذهِ اللحظات، كادت أن تتحدَّث إلى "نِضال" لولا أن توقَّف القِطار فقالت "نِضال": توقَّف القِطار، هُنا حيثُ أهبِط، سُرِرت بِمُقابلتِك، إلى اللِّقاء.

احتضنتها "نِضال" ثُم أقلعت عن القطار، تحرَّك القطار مُجددًا؛ فالتفتت "حماس" لِتقوم بالنَّظر إلى "نِضال"، أخذت تتبعها بِنظراتِها حتى تلاشى طيفها تمامًا مِن أمامِها، جلست مُجددًا على مِقعدها وشعور غريبٌ يراوِدها، وكأنَّها فارقت صديقة عزيزة عليها !

_حماس: أهلًا أُمي.

_فِردوس: عودًا حميدًا بُنيَّتي.

_حماس: سأذهب لِلنّوم قليلًا؛ فقد أُرهِقت.

ـفِردوس: حسنًا حَبيبَتي.

دلفت إلى غُرفتها ثمّ ارتمت على فراشِها في تعبٍ شديدٍ، وما إن أجفلت عيناها حتى غرقت في نومٍ عميقٍ .

استيقظت في اليوم التالي، ثُم خرجت من منزِلها، أثناء طريقها وجدت بعض الشَّباب يُسلِّطون نظراتها عليها ويتهامسون سويًا، أحسَّت بغصَّة في قلبها، أكملت سيرها والشعور بالضيق هو المُسيطر عليها.

عِند عودتها إلى المنزل، أعاد عقلها ذاك الحوار بينها وبين "نِضال" مُجددًا، وبعد لحظاتٍ ليست بالكثيرة، وقفت "حماس" فجأة، وقد اتَّخذت قرارًا مُحددًا، لا رجعَة فيه .

وبعد عِدة أشهُر، كانت "حماس" تجلِس مع فتاة، قد رأتها تِلك الفتاة في الجامعة، وهي ترتدي رِداءً فِضفاضًا أسود اللَّون، لا يُظهر مِنها شيئًا حتى عيونِها!

فقررت تِلك الفتاة بالذَّهاب إليها؛ علَّها تُهديها نصيحةٍ ما لِتجعلها تتخِّذ الخطوة على ارتداء الفضفاض.

أنهت الفتاة حديثها مع "حماس" ثُم غادرتها، ابتسمت "حماس" وهي تتذكَّر من قبل كيف كانت ملابسها، وكيف منَّ اللَّه عليها وأرسل لها "نِضال" لِتكون سببًا في هدايتها، أخرجت مُذكِّرة من حقيبتها وبدأت في التدوين بِها: "مُنذ عِدة أشهُر كُنت ضالَّة، لا أعلم الطريق الصحيح، غارِقة في بحرٍ من المعاصي، وفي يومٍ من الأيام.. التقيتُ بِأجمل صديقة على الإطلاق، لِقاءٌ

عابر كان بِمثابة تغيير لِمسار حياتي بِأكملِه، التقيتُ بِـ"نِضال"، تِلك الفتاة التي كانت سببًا في هدايَتي وإرشادي للصَّواب بعد الله، لم تخلُ سجداتي يومًا مِن دُعائي لها، دائمًا ما أذكُرها، في اليوم الثاني مِن لِقائنا كُنت قد اتَّخذت قرارًا حاسِمًا بِأن أرتدي ذاك الرِداء الَّذي يُرضي اللَّه ورسولُه، ويجعلني أُحشر مع أُمهات المؤمنين، تِلك الخُطوة تبعَتها خُطواتٍ كثيرة، حتى أصبحتُ إلى ما أنا عليهِ الآن، ما زِلتُ أُجاهد وأرجو مِن اللَّه الثَّبات، وددتُ لو ألتقي بِـ"نِضال" ثانيًا، أدعو كثيرًا أن نلتقي مُجددًا لِنُكمل طريقنا سويًا، حتى نصِل إلى الجنَّة، ولعلِّي أتلقَّى الاستجابَة يومًا."

انتهيت من قراءة هذا "الإسكريبت" الذي غيّر في داخلي أشياء كثيرة، ومنها أنه حببني أكثر في ارتداء الزيّ الشرعيّ، وتحفزت على أخذ هذه الخطوة.

وكنت أعلم سأواجه كثيرًا من الانتقادات من الناس؛ لكن رسول الله - عليه أفضل الصلاة و السلام- يقول: "سوف يأتي على أمتي زمان المحافظ فيه على دينه كالقابض على الجمر."

****

(12)

لن أحزن أبدًا إذا شعرت باستهزاء أحد عليّ أو أن أحد يناهضني في الصواب؛ حتى رسول الله قال بنفسه ذلك.. أن الزمن القابض على دينه كالقابض على حجر الناس، فالغريب في هذا الزمن أصبح الحرام حلالًا والحلال حرامًا، فإذا كنت تريد أن ترضي الله وتأخذ هذه الخطوة فيجب عليك أخذها دون السماع لأي شخص؛ فمنهم الشيطان الرجيم يريد أن يدخلك النار بأية طريقة لأنه لا يحبك فَهو يغوينا عن الحق كمان تفعل الناس أيضًا، والخمار فرض علينا، ويجب أن نلتزم بأوامر الله لأننا ملكات مؤنسات غاليات، ليس من المفترض أن تكون البيئة المحاطة لكِ أن تساعدك على ارتداء الزيّ الفضفاض والخمار؛ فإذا كانت الخطوة صحيحة وترضي الله عزّ وجلّ فلا عليكِ غير أن تجاهدي من أجلها.

وبالفعل ارتديته، وبدأت أتعلم أشياء جديدة تخص ديننا الإسلامي، واكتشفت أخطاء كثيرة كنت أفعلها في حياتي؛ لكن علمت أن الله حرمها، ولذلك قررت أن أنفع بها غيري مثلما انتفعت بها الآن، واستغللت موهبتي في كتابة الخواطر، وبدأت أدوّن خواطر جديدة على مواقع التواصل الاجتماعي، وأيضًا نصائح للفتيات المراهقات، والسيدات، وبدأت أن أنشر "بودكاست" على حسابي الشخصي لنشر الوعي الديني بين الناس، وحفزت فتيات كثيرة على ارتداء الزيّ الفضفاض، وحببتهن في الصلاة، وتلقيت

تفاعلًا كبيرًا في وقت قصير، وسعدت كثيرًا بذلك، وبدأت الناس ترسل لي مشكلاتهم، ويأخذون رأيي فيها وما يتوجب عليهم بفعله.

فكنت أتمنى دومًا أن أغير العالم بأكمله وأن أترك أثرًا طيبًا فيه، وأن أكون سببًا في جعل الناس يعودون لحديث ربهم، وأن يستوعبوا بأن الدنيا فانية، وأنّ الله رحيم ويغفر لعباده، فَأوقات كثيرة أشعر بأننا لا نستحق رضا الله علينا، فَإذا علم الناس بحب الله لهم، لن يفعلوا كل هذه المعاصي.

وفي يوم أرسلت لي فتاة تقول إن اسمها غادة، وعمرها ستة عشر عامًا، وإنها دخلت في علاقة ارتباط مع شاب أكبر منها.. وكان يقول لها الكثير من الكلام المعسول، وإنه يواعدها بالزواج، وبدأ يطلب منها صورًا غير ملائمة، وكانت تطيعه في ذلك، وبعد أن أخذ مراده فضحها وعلم أهلها بالأمر وعذبوها كثيرًا، وبالطبع كان الحل أمامهم أن يزوجوها من هذا الشاب حتى يغطوا على العار الذي أصابهم بعد فعل ابنتهم .

تقول إن بعد زواجها منه عاشت أسوأ أوقات حياتها معه، كان يضربها ويعذبها كثيرًا، ولا يعود للمنزل إلا في وقت متأخر وهو ثمل من كثرة شرب الكحول وإدمان المخدرات، وكان يعايرها دائمًا بفعلتها معه قبل الزواج، والآن هي حامل في الشهر الثاني، وهذا لم يرحمها من عذاب زوجها لها، وجاء اليوم الذي كان يدلف للمنزل وهو مصطحب معه فتيات الليل وكل هذا أمامها، وعندما كانت تتحدث معه في ذلك الأمر كان يكسر لها عظامها من ضربه وعنفه الشديد، وبدأ يأخذ منها حقوقه الشرعية غصبًا عنها

فهي كرهته بشدة، وباتت تبغضه كثيرًا.. وبالطبع عندما كانت تتحدث مع أهلها كانوا يقولون لها إنّ الخطأ خطؤها منذ البداية، والآن هي نادمة كثيرًا على كل هذا.. فهي خسرت ثقة أهلها.. خسرت طفولتها ومراهقتها وشبابها.. كانت تتمنى الموت كل يوم.. وفقدت الأمل في كل شيء في حياتها، وتزوج عليها زوجها وعاشت زوجته الثانية معها في نفس المنزل وكانت تهينها كثيرًا، وبالطبع لن يعدل الزوج بين زوجتيه.

بعد أن قرأت كل هذا، حزنت كثيرًا على غادة وعلى حالتها وأن فتاة صغيرة في عمرها عاشت كل هذه المتاعب، وشعرت بها لأني كنت أرى أبي وهو يعامل أمي هكذا..

وأكملت قراءة تقول: ولأنها يئست من هذه الحياة قررت أن أنهيها تمامًا قبل مجيء طفلي لهذه الدنيا ويتعذب معي، وقبل أن أفعل ذلك قررت أن أرسل لكِ حتى تقومي بتوعية غيري في مثل حالتي، وأتمنى أن تقومي بقراءة رسالتي في أقرب وقت، وتقومي بنصيحة الفتيات بألّا يقوموا بمثل خطئي في البداية، وأعلم أن الذي أود أن أفعله هو خطأ كبير أيضًا.. لكن ليس هناك فائدة من حياتي هذه..

بعد الانتهاء من قراءة رسالتها حاولت الوصول إليها حتى تتراجع عما تنوي فعله؛ لكن بلا جدوى، وكان آخر ظهور لها من اليوم التي أرسلت لي فيه، وبعد محاولات كثيرة علمت عن موتها بعد انتحارها بتناولها لمادة سامة.

قصة هذه الفتاة تركت بداخلي أثرًا قويًا ولذلك قررت أن أفعل مثلما طلبت مني..

ونهضت أصور فيديو حتى أنشره على مواقع التواصل الاجتماعي، وتحدثت فيه عن قصة هذه الفتاة.

وقلت: واجب عليّ أن أنصح كل فتاة لأنّ أمة محمد مأمورة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولذلك فنحن خير أمة وهي أمة محمد، وقال تعالى في سورة النساء:

(فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ).

"ولا متخذات أخدان" وهو أن المرأة تأخذ شخصًا صديقًا لها أو ترتبط به.. فأكد الله تعالى في الآية أن الارتباط محرم أو حتى الصحبة بين الولد والبنت، وذلك حتى يحمي قلوبنا ومشاعرنا لمن يستحقها؛ فَأنتِ أنثى غالية ليس أي شخص يقول لكِ كلامًا معسولًا تتعلقين به، ولا لأنه حاول معكِ كثيرًا حتى يتحدث معكِ أنه هكذا يحبك! هو فقط يريد بهذا الفعل أن يثبتك وأن يظهر لكِ بأنه هكذا يكون شاريكِ ويحبك، لكن لا يا حفيدة عائشة؛ فالذي يريدك سيأتي لمنزلك ويطلبك من والديكِ لأنكِ لست أي فتاة.. أنتِ لست عادية.. فأنتِ غالية، قال الرسول عنك: "المؤنسات الغاليات"، والإسلام كرمكِ وعززكِ فلا تمشي في طريق خطأ ولا تتبعي خطوات الشيطان.. فاتقي الله في نفسك يا غالية..

وأيضًا أريد أن أوجه رسالة لكل شاب مقبل على زواج ولكل رجل متزوج أيضًا..

زوجتك هي وصية رسول الله لك؛ فيجب أن تعاملها بما يرضي الله، فهذه الفتاة تركت أهلها وأحباءها، ورضت بك زوجًا لها، فَإن من أعظم مقاصد النكاح في شرع الله المطهر أن تسود المودة والرحمة بين الزوجين، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تبنى الحياة الزوجية. قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً).

وصف الله عزّ وجلّ علاقة الزوجين أنها مودة ورحمة وليس حبًا وعشقًا.. باختصار لأنّ العشق والحبّ والغرام يزولان، أما الرحمة والمودة مستمرتان دائمًا، والحبّ أساسه الرحمة والمودة واللين.

وحكت لي غادة أيضًا على عدم عدل زوجها؛ فَتعدد الزوجات أمر أباحه الإسلام، واشترط له العدل؛ أي أن يكون العدل في النفقة، والمعاشرة، والقسمة، والحقوق المادية، وأما ما يصعب التحكم به من ميل قلبه ومحبة خاصة فلا يحاسب عليه الزوج، ولكن على ألا يتحول إلى ظلم في الأفعال والتصرفات، فإن دفعه حبه لإحداهن إلى زيادة العطاء أو إهمال الأخريات، فإن الزوج ظالم آثم بذلك، ولذلك إذا لن تقدر على العدل بينهن فاكتفِ بواحدة فقط.

وأعلم جيدًا أن قرار غادة كان خطأ جدًا عندما قررت الانتحار فهي قتلت نفسها، وأيضًا جنينها الذي لم يبلغ أكثر من شهرين داخل أحشائها..

(13)

قد تضيق الحياة على الفرد أحيانًا وتزداد الضغوط النفسية إلى الحد الذي يفقد فيه معنى الحياة ويتمنى لو أنه لم يولد، وربما لا يرى لمشاكله حلًا سوى إنهاء حياته، حيث يرتبط تدهور الحالة النفسية والانتحار في بعض الحالات التي يسيطر عليها اليأس الشديد، إلا أن تقديم الدعم النفسي وإظهار مشاعر الحب والاهتمام من الأهل والأصدقاء يعد وسيلة فعالة للتخلص من الأفكار الانتحارية، ولكن غادة لم تحصل على هذا الدعم من أهلها عندما لجأت إليهم بعد عذاب زوجها لها.. فَالانتحار في الإسلام هو: قتل الشخص نفسه عمدًا، ويعد جريمة ومعصية يأثم فاعله، وهو حرام اتفاقًا بأدلة من المنقول والمعقول..

قال الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾.

فالنفس ملك لله، والحياة وهبها الله للإنسان، فليس له أن يستعجل الموت بإزهاق الروح؛ لأن ذلك تدخل فيما لا يملك، وتؤكد تعاليم الدين الإسلامي على أنّ الإنسان في هذه الحياة في مرحلة عابرة، وأنّ الحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية التي يجازى فيها الإنسان يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأن هذه الحياة فترة اختبار أي دار امتحان وابتلاء، وعلى هذا الأساس فإن الإسلام يحث على الصبر على طاعة الله وفي مواجهة الحياة وما يعرض للإنسان من متاعب بروح الإيمان بالله واليوم الآخر، والتسليم

لأمر الله وقدره، وعدم الجزع، ولا اليأس من رحمة الله، وأن الله يجازي العباد في الدار الآخرة، كما أن مفهوم الحرية الشخصية؛ لا يتجاوز حدود العبودية لله ربّ العالمين .

فالموت ليس خلاصًا من الحياة، وهي لا تنتهي به، وعقوبة القاتل نفسه لا تتحقق إلا في الحياة الأخروية، إذ لا يمكن للناس معاقبة شخص ميت، كما أنه لا يعاقب أهل الميت بوزر لم يرتكبوه، وقاتل نفسه يتحمل وزر القتل، وما قد يترتب عليه من تعذيب نفسه، وإقلاق أسرته ومجتمعه، ولربما كانت وفاته سببًا لتفويت حقوق والتزامات متعلقة بالآخرين.

وفي الحديث قال النبي ﷺ: ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم.«

وقال ابن حجر: «ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم لأن نفسه ليست ملكًا له مطلقًا بل هي لله تعالى فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه.«

وفي الحديث: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من قتل نفسه بحديدة؛ فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه؛ فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه؛ فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.«"

ولذلك فإن الانتحار ليس حلًا لأي مشكلة مهما كانت صعوبتها، يجب عليك الاستعانة بالله، والتقرب منه، والشكوة فقط لله، وتأكد بأن الله

سيجبر خاطرك قريبًا؛ لكن عليك وعلى الصبر؛ فإذا صبرت سوف تنال بما تريد.

وقد ذكرت غادة أيضًا أن زوجها مدمن للمخدرات والكحول؛ فلماذا يا شباب من السهل هكذا أن تبيعوا حياتكم لقاء لحظات من المتعة الزائلة!

الإدمان من الممكن أن يعرضك للموت المفاجئ أو الانتحار، وتهمل عملك وأسرتك، الإدمان قد يحولك لشخصٍ أنت ذاتك لم تتعرف عليه من قبل، ولم تتوقع أن تكون هكذا في يوم من الأيام.. فيمكن أن تسرق أو حتى تبيع شرفك، ومن الممكن أن تفكر في القتل أيضًا، وكل ذلك فقط من أجل أن تحصل على نوع المخدر الذي أدمنته، أتذكر جيدًا ذلك القصة التي قرأتها عن شاب عان مع رحلة الإدمان ومات، وهو ساجدًا للرحمن.

شاب كان مسرفًا على نفسه بالمعاصي والآثام...

ومن كثرة معاصيه أنه كان لا يتوانى عن فعل أي معصية، كان يتعاطى المخدرات وكان يفعل الفواحش.. بل وصل به الأمر إلى أنه كان يضرب أمه وأباه .

فلما استحالت العشرة بينه وبين أسرته جعلوا له غرفة في السطح يعيش فيها وحده بعيدًا عنهم حتى يتخلصوا من أذاه.

وفي يوم من الأيام يتعاهد أربعة من الإخوة الصالحين أن يأتوا إلى هذا الشاب العاصي لينصحوه، فصعدوا إلى غرفته فوجدوه سكرانَ فاقدَ العقل؛ فجلسوا معه وحاولوا أن يكلموه لكنه لا يشعر بهم.. جلسوا معه حتى أفاق

قليلًا، ثمّ بدؤوا يذكروه برحمة الله سبحانه وتعالى وبالجنة وبالنار فإذا به يبكي ويقول: والله ما سمعت من قبل هذا الكلام فأريد أن آتي معكم .

فذهبوا به معهم وكانوا مسافرين فسافروا خارج المدينة التي هو فيها ونزلوا في أحد المساجد وكان هذا الشاب معهم معلنًا توبته إلى الله، لكنه كان ما يزال يعاني من أثر المخدرات حتى أنه صاح بهم في الليل: قوموا فاربطوني بالحبل فإني أخشى أن أخرج لأبحث عن المخدرات .

قالوا له: هيا نذهب بك إلى المستشفى. قال: لا بل اربطوني. فربطوه ربطًا شديدًا ومع ذلك استطاع أن يتخلص من ذلك القيد، وجلس يبكي بجوارهم من شدة الألم .

واستمر على تلك الحالة خمسة عشر يومًا وهو يعاني من ألم التخلص من المخدرات؛ لكنّه صادقٌ في توبته الى الله.. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا .

وبعد خمسة عشر يومًا أراحه الله من آثارها .

وذهبوا به إلى المستشفى فلما أجرى الطبيب له بعض التحاليل وإذا به يقول: لا يمكن أن يكون هذا الرجل قد تعاطى مخدرات من قبل .

مكث هذا الشاب ثلاثة أشهر بعيدًا عن أهله، أما أهله فلم يسألوا عنه لأنهم يئسوا منه، فظنوا أنه قبض عليه أو أنه مات في حادثة ليستريحوا من أذاه .

وبعد ثلاثة أشهر ذهب إلى منزل أسرته وقرع الباب ففتحت أمه الباب لترى ابنها الذي اختفى منذ ثلاثة أشهر.. تراه وقد تغير وجهه وزادت هيئته بهاءَ وجمالًا ووقارًا وفي وجهه نورٌ.

فأقبل على أمه ليعانقها ويقبل رأسها ويبكي ويطلب منها أن تسامحه فقالت أمه: سامحتك يا بني .

فقال لها: يا أماه أشتهي أن آكل طعامًا من صنع يديك، فقامت الأم تصنع له طعامًا، فقام وكبّر للصلاة وقرأ، وركع ورفع، وسجد وأطال السجود، وجاءت أمه بالطعام لترى ولدها ساجدًا فأخذت تبكي بكاءً شديدًا فرحًا بهداية ولدها لكن ابنها أطال السجود ثم أطال السجود..

فنادت عليه أمه فلم يجبها، أخذت تحركه فإذا به قد مات ساجدًا .

دخل جيرانه ودخل أهله ليروا هذا الشاب الذي كان في غاية الإجرام والفساد..

وإذا به يموت ساجدًا لله.. ما أجملها من نهاية.

فتشوا جيبه وأخرجوا أوراقه وإذا فيها وصية مكتوبة .

أتدرون ما هي وصيته؟

كانت وصيته أنه إذا مات فعلى أمه أن تخيط له الأكفان وأن يحمل جنازته شباب الحي الذين كان يعرفهم قبل الالتزام ليتوبوا إلى الله وأن يكون الذي يدفنه أبوه.

ما أجملها من عودة إلى الله وما أحسنها من خاتمة لحياته.

فاعمل في حياتك الخير حتى يكون لك نصيب في خاتمة حسنة يختم الله بها حياتك، وابعد عما نهى الله عنه.

****

(14)

انتهيت من تصوير الفيديو، ونشرته عبر حسابي الشخصي، ثم دلفت للمرحاض، وتوضأت ثمّ صليت قيام الليل..

وبعد أن انتهيت من الصلاة، رأيت تلك العيون التي كانت تراقبني.

وقلت له: ما بك يا فدوتي لمَ تنظر لي هكذا؟

اقترب مني وقبل جبهتي ثم قال بحب: رزقني الله بأفضل زوجة؛ فأنتِ نعمة من الله وهبها لحياتي، وأتمنى أن يديمها الله لي، ولا يحرمني منها أبدًا.

احتضنته وقلت له بنبرة مليئة بالحزن: أتمنى أن أبقى بجانبك دائمًا.

قال لي باستعجاب: ماذا تعنين؟

قلت له بابتسامة حتى لا يشك في الأمر: أقصد أني لا أقدر على العيش بدون فدوتي أبدًا، ولذلك أسأل الله دائمًا أن تكون معي حتى آخر عمري.

قال لي بنبرة حنونة: وأنا لن أبتعد عنكِ أبدًا يا حوريتي.. وأخذ بيدي لغرفة تيا وتقي، وجلسنا نحن الأربعة، وبدأ هو يتحدث وقال: علمت اليوم معلومات هامة جدًا عن الصلاة، فمن يريد أن يستمع؟

قال الولدان بحماس: نحن يا أبي نريد، فنحن نحب الصلاة ونحب الله كثيرًا، ونريد أن نتعلم كل يوم أشياء جديدة عن ديننا ونقوم بها حتى يرضى الله عنا.

نظرت لطفليّ بحب، وسعدت كثيرًا بحديثهما، وأنهما سيكبران عالمين بدينهما، ويقدران على التفرقة بين الحرام والحلال.

ووجهت نظري لفادي، وأومأت له بأن يكمل حديثه.

قال: بالطبع تعلمون أنّ الصلاة أساسها الاطمئنان، وأنّ حل جميع المشكلات تبدأ بالصلاة، وأكثر شيء تقرب العبد من ربه، وأنّ سبب تواجدنا وخلقنا للصلاة والعبادة فقط وأنّ الباقي فقط شكليات، وأعني أنّ الصلاة التي هي "الله أكبر.. سبحان ربي العظيم.. سمع الله لمن حمده.. الله أكبر.. سبحان ربي الأعلى.. الله أكبر" فهذه ليست صلاة.

وإذا شردت أثناء قراءة سورة الفاتحة، ليس من الوجوب أن تعيدها، فقط استعذ بالله وركز فيما هو آتٍ.

وإذا نسيت الفاتحة، وركعت؛ عليك أن تقف وتعيد الركعة ثانيةً من أول الفاتحة.

وعند السجود لا يجوز الكوعين أن تلامسا الأرض، وأنفك يجب أن يلامس الأرض أثناء السجود.

وإذا نسيت ركعة يجب أن تقف تصليها سواء كنت راكعًا أو ساجدًا فلا تكمل الركوع أو السجود.

وإذا أضفت ركعة زائدة، ثم تذكرت وأنت تصليها؛ فعليك أن تتوقف فورًا وتجلس للتشهد دون أن تكمل هذه الركعة لآخرها.

وإذا نهضت من السجود حتى تقف، وتذكرت بأنك نسيت التشهد الذي يفصل كل ركعتين؛ فإذا كنت أقرب للأرض اجلس وقل التشهد، أما إذا تذكرته بعد وقوفك؛ عليك أن تكمل صلاتك وتصلي في الآخر ركعتيّ سهو.

"سجدة السهو" تقول فيها سبحان ربي الأعلى مثل السجدة العادية.

وعند نسيان قراءة السورة القصيرة التي تلي الفاتحة وركعت؛ فعليك أن تكمل صلاتك.

"السور القصيرة نقرؤها في أول ركعتين بعد الفاتحة، وآخر ركعتين نقرأ فيهما الفاتحة فقط."

وإذا بدأت صلاتك، وتذكرت عدم وضوئك؛ عليك أن تقطع الصلاة وتتوضأ، ثمّ تعود للصلاة مرة أخرى.

وإذا رأيت بعد الصلاة نجاسة في ملابسك، وكنت متوضأ في البداية؛ فلا عليك ولا تعد الصلاة، ولا يجوز القراءة من المصحف أثناء صلوات الفرض، وجمع الصلوات جميعها بالليل مع بعضها كبيرة من الكبائر.

وإذا فاتتك صلاة العصر وسمعت آذان المغرب؛ يجب أن تصلي العصر أولًا، ثم المغرب.

وليس من الوجوب أن تنتظر انتهاء الآذان حتى تقوم بالصلاة، إنما من الأفضل أن تردد الآذان ثم تؤدي صلاتك.

"مكروه إغلاق العينين أثناء الصلاة إلا في حالة وجود شيء أمامك يقطع تركيزك، ولا يجوز الصلاة وأنت مسلط نظرك لأعلى."

"لا يجوز الهمهمات أثناء الصلاة حتى تلفت نظر شخص على شيء ما؛ فهذه الحركات لا تجوز في الصلاة "

وعند الصلاة تضع يدك اليمنى على يدك اليسرى، وتضعهما على الصدر، ويجوز أيضًا على البطن .

وإذا ضحكت في الصلاة بصوت عالٍ اخرج من الصلاة فورًا، إنما إذا قدرت على كتمها استعذ بالله، وأكمل صلاتك.

إذا فاتتك صلاة، تصليها فور تذكرك؛ فلا يجوز صلاتها مع صلاة اليوم التالي.

لا يجوز أن تؤخر صلاة عن ميعادها إلا إذا تحققت الشروط.. أولهم وجود احتياج للتأخير مثل أن يكون لديك محاضرة أو درس.

ثانيًا أن يكون غلب على ظنك بأنك ستتمكن من صلاتها قبل ميعاد الصلاة التالية.

ثالثًا بأنك تستشعر أن ذلك من رحمة الله بك بوجود سعة في الأمر.

يجوز الصلاة بالحذاء إذا كان نظيفًا ولا يوجد عليه نجاسة، وعند وجود بواقي طعام في الفم أثناء الصلاة؛ يجب محاولة إخراجها وعدم بلعها.

في الجلسة التي بين السجدتين تقول: "رب اغفر لي" ثلاثة مرات؛ فلا تجلس صامتًا.

وعند عدم تذكرك إذا صليت ثلاثة ركعات أم أربعة؛ فعليك أن تبني على الأقل وأن تعتبر بأنك صليت ثلاثة وتصلي الرابعة، أما الأشخاص الذين يعانون من الوسواس ناحية هذا الموضوع وهو عدم تذكره الدائم في كل صلاة، إذا صلى ثلاثة أم أربعة؛ فعليه أن يبني على الأكثر، ويعتبر أنه أدى أربعة ركعات ويختم صلاته.

أنهى فادي حديثه، وكنت فخورة أنه زوجي وأبٌ لأولادي؛ فَدائمًا كنت أتأكد بأني لم أخطئ أبدًا عندما اخترت فادي شريكًا لحياتي.
فَالزوج الصالح لن يأتي بسعيك؛ بل بتقواك فهو رزق يسوقه الله لمن اتقت ربها، فهو كنز المرأة.
الزوج الصالح يخاف الله في زوجته، يحافظ على ودِّ زوجته بحُسن خلقه، فهو يعلم أن خلُقه ودينه هما المؤهِّلان لتزويجه، ولولا الدين والخلق لما كان للرجل في زوجته نصيب.. يحسن التوازن بين والديه وزوجته، فلا يميل إلى والدته على حساب زوجته، ولا إلى زوجته على حساب والدته، بل يعطي كلاً منهما حقه غير منقوص، فهو قائد يعي دوره في أمان أسرته، وضمان مستقبل أولاده، فهو صاحب القرار، الذي تستقيم به الأسرة، وتميل إن مال رأيه، فهو أبعد الناس عن التفكير بصيغة الفردية، واتخاذ القرارات التي تنفعه وتضر بأسرته، أخوف الناس على مصالح أولاده.

يتزين ويتجمَّل لزوجته كما تتزين وتتجمَّل له، ويتودد إليها كما تتودد إليه، ويعتني بنفسه بما تقع عليه عين زوجته وأنفها، فقد (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ إذا دخل بيته بالسواك.(

قال عمر -رضي الله عنه- وهو مَن هو هيبة ورجولة: (تَصَنّعُوا للنساء، فإنهنّ يحبِبْنَ منكم ما تحبون منهنّ)، وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: (إني لأتزين لامرأتي كما أُحبُّ أن تتزين لي.(

لا يرى إبداء مشاعره لزوجته عيبًا، ولا يرى مساعدتها نقصًا، بل سنة يحرص على اتباعها إذا ما تزاحمت على زوجته المهمَّات، متأسيًا بمن كان (بشَرًا من البشَر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويخصف نعلَه، ويخيط ثوبه، ويكون في مهنة أهله) صلى الله عليه وسلم.

فإنْ دَخَل دَخَلَ ضحَّاكًا، وإن خرَجَ خَرَجَ بسَّامًا، إنْ سألتْه زوجته أعطى، وإنْ سكتت ابتدأ، وإنْ عمِلت شَكَر، وإنْ أذنبَت غَفَر.

يستمع لزوجته فيما ينغِّصها، ولا يستخف بهمومها وهموم أولادها، يقبل الحوار ويشارك في النقاش، بعيدًا عن الغضب، غير متعذرٍ بالتعب، وشريك في تربية أولاده، متابع لقضاياهم لا يترك حملَ ذلك على الزوجة وحدها تنوء به وتئن وهو غائب.

يعرف تمامًا الفرق بين عمله وبيته، وصفته خارج البيت وداخله، فهو في البيت زوج وأب، وخارجه يكون ما شاء أن يكون؛ مديرًا أو ضابطًا أو قاضيًا أو أيًا يكن، ويعرف لأهل زوجته حقهم، فلا يقطعهم ولا يُثقل

عليهم، ويكرمهم ابتداءً ليرى النتيجة إكرامًا من زوجته لأهله.. الزوج الصالح أيضًا يمازح زوجته ويلاعبها، يسامرها ويباسطها، مع لطفٍ ولينِ جانبٍ، كما (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أليَنَ الناس، بسَّامًا ضحَّاكًا) بشهادة زوجته، و(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَفْكَه الناس مع نسائه).

****

(15)

بعد مرور ثلاثة أشهر وخاصة يوم الولادة

كانت تجهز حقيبتها، وتضع بداخلها احتياجات المولود، وبعد أن انتهت، صلت ركعتين لله، ودعت كثيرًا أن يأتي طفلها بكامل عافيته؛ فكان الطبيب طوال أشهر حملها لا يجد أي تحسن في حالتها، كانت تعلم أن بالتأكيد إذا لم تنتهِ حياتها طوال فترة الحمل؛ فسوف تنتهي يوم الولادة .

أحضرت ورقة، وبدأت تدون بها:

حبيبي فادي، أعلم أنك في حيرة الآن عما تحتويه هذه الورقة، ولما أعطيتها لك في ذلك الوقت؛ لكن يجب أن تعلم بالسر الذي أخفيته عنك طوال الأشهر الماضية، وسامحني أرجوك..

قبل عودتك من ذلك السفر علمت أني مريضة قلب، وأيضًا كنت حينها حاملًا في أسبوعين، ولقد حذرني الطبيب كثيرًا بأن ذلك الجنين سيكون خطرًا على حياتي، ويجب أن أجهضه؛ لكن لم أقدر أبدًا على فعل ذلك، فهذا طفلنا وجزء مني ومنك، ولقد رأيت سعادتك الكبيرة عندما علمت بحملي؛ فكيف لي أن أضحي به مقابل حياتي!

قررت بأن أخفي عنك وعن أهلي حقيقة مرضي حتى لا تجبروني على الإجهاض، أعلم أن هذا خطأ بإخفائي عنك؛ لكن لم أصل إلى حل آخر..

فأرجوك سامحني، ولا تحزن من فعلتي، وأريدك أن تعلم أني أحبك كثيرًا، وأحب أطفالنا، ولا أحتمل فكرة خسارتكم حتى لو مقابل حياتي، أعلم أنك حزين الآن وتبدلت سعادتك لحزن كبير بعد قراءتك بهذه الرسالة؛ لكن حبيبي هذا ابتلاء من الله ويجب أن نرضى به ولا نعترض عليه، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض."

في يوم القيامة عندما يرى الناس جزاء المبتلي يتمنون أن يعودوا للدنيا حتى يبتلوا مثلهم.. فجزاء المبتلين عظيم عند الله، وإذا أحب الله عبدًا يبتليه.. أم حتى يكون مغفرة لذنوبه أو يريد له منزلة عُليا في الجنة..

فيمكن أن يكون مقدرًا له دخول الجنة لكن بمنزلة قليلة؛ فيبتليه الله حتى يرزقه بالفردوس الأعلى، ولذلك فأنا محظوظة أن الله يحبني وابتلاني، ويمكن بسبب هذا الابتلاء تغيرت للأفضل، وعلمت أكثر عن ديني، وتقربت إلى ربي، وعملت على نشر الوعي حتى أكون سببًا لتغيير كثير من الناس للأفضل؛ فهذه الدنيا مليئة بالاختبارات والمشكلات وعدم الراحة الدائمة، وهذا لأنها زائلة، وعند الله المتاع والحياة الأفضل.

الاختبارات والابتلاءات من عند الله هذه أمور عادية لأننا في الدنيا.

قال الله تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون).

وتعني هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يبشر الناس التي سوف تصبر على قدره وبلائه.

وأنا صبرت، وهذا اختبار من الله؛ فيجب أن أنجح فيه .

فلا تصعب حبيبي الأمور عليّ أكثر، فقط قم بالدعاء لي ولطفلنا أن يأتي سالمًا لهذه الدنيا .

وإذا كانت هذه لحظاتي الأخيرة في الحياة، أوصيك بأن تهتم بأطفالنا، وأعلم أنك ستقوم بذلك على أكمل وجه؛ فكنت دائمًا خير أب لهم وخير زوج لي، وإن ضاقت بك الدنيا ستجدني بقربك دائمًا حتى لو بدون جسد؛ سأبقى معك بروحي .

- انتهت من كتابة آخر كلماتها وطوت الورقة، ثم وضعتها داخل حقيبتها .

وذهبت لغرفة طفليها، وساعدتهما في ارتداء ملابسهما وبعدها جلست معهما وقالت لهما بحب: أتعلمان أن أمكما تحبكما كثيرًا، أليس كذلك؟

قال لها تقي: نعم يا أمي نعلم بذلك، ونحن أيضًا نحبك أكثر مما تعتقدين؛ فَدائمًا أتحدث عنكِ مع زملائي وأقول لهم إني أمتلك أعظم أم، والجميع حقًا يحبك يا أمي، لقد تركتِ أثرًا كبيرًا في كل شخص قمتِ بتقديم نصائحك له، وتعلمنا منكِ الكثير .

وقالت تيا: وكانت تحدثنا معلمتي عن الأم وتقول: إنّ الأم جوهرة ثمينة، لا يعرف قدرها إلا من كوته نار فقدانها، لذلك كونوا الحاضن الأول لها في

كبرها لأنها هي التي من كانت الحاضن لكم في طفولتكم، وعليكم بطاعة وبر والداتكم لتتمكنوا من الحصول على رضا الخالق ومحبته، ونحن سنفعل ذلك دائمًا يا أمي سنطيعك أنتِ ووالدنا، ولن نفعل أي شيء يحزنكما منا؛ فنحن فقط نريد رضاكما ورضا الله علينا، ونعدك بأننا سنكون خير أبناء لكما، وسنعلم أخانا القادم أشياء كثيرة عن ديننا وعن العادات السليمة، وسنحاول دائمًا أن نكون مثلك يا أمي .

احتبست الدموع في مقلتي من حديث طفليّ، وسعدت كثيرًا بأني كنت دومًا الأم المثالية لهما، سعدت بأن طفليّ لم يجدا أي تقصير مني في يوم من الأيام .

احتضنتهما وأنا أدعو الله أن يصبرهما على فراقي إذا كانت هذه آخر لحظات لي معهما .

عاد فادي من العمل، وهممنا إلى الذهاب للعيادة التي سألد بها، وأخذت بيده بعيدًا عن الأولاد وقلت له بعد أن قبلت يده: لا أريدك أن تحزن مني أبدًا، وأعلم أنك لم تتفهم حديثي إلا عندما تقرأ هذه الرسالة؛ لكن لا تقرأها إلا عند دخولي لغرفة العمليات .

كان في حيرة كبيرة من حديثي، وجعلته يقدم لي وعدًا بأنه لن يقوم بفتحها إلا حينها، ثم احتضنته بشدة.

****

(16)

بعد مرور عدة سنوات

كان يقف أمام قبرها، وهو حزين جدًا على فراقها، مازال فراقها تاركًا أثرًا كبيرًا فارغًا في حياته؛ حتى بعد كل تلك السنوات على وفاتها..

ترك لها الورود الذي أحضرها أمام قبرها؛ فقد اعتاد على ذلك منذ أول ليلة لها في القبر، ثم قال بحزن: لا يزال رحيلك فاجعة أسكنت الألم داخلي، ولا زالت دموعي تنهمر في كل يوم يأتي دونك، وفي كل ساعة أحتاجك وأصرخ بالنداء ولا أجدك.

وهم بالذهاب حتى يلحق بحفل تخرج تيا وتقي.

على الجانب الآخر..

يقف الاثنان مع باقي زملائهما ويرددون:

»أقسم بالله العظيم أن أراقبَ الله في مهنتي، وأن أصون حياة الإنسان في كافة أدوارها، في كل الظروف والأحوال، باذلًا وسْعِي في استنقاذها من الهلاك والمرض والألم والقلق، وأن أحفظ للنّاس كرامتهم، وأستر عورتهم، وأكتمَ سرهم، وأن أكونَ على الدوَام من وسائل رحمة الله، باذلًا رعايتي الطبية للقريب والبعيد، للصالح والخاطئ، والصديق والعدو، وأن أثابر على طلب العلم، أسخره لنفع الإنسان.. لا لأذاه، وأن أوقر من علمني، وأُعلّم من يصغرني، وأكون أخًا لكل زميل في المهنة الطبية متعاونين على البر والتقوى،

وأن تكون حياتي مِصْدَاق إيماني في سري وعلانيتي، نَقية مما يشينها تجاه الله ورسوله والمؤمنين، والله على ما أقول شهيد.«

ومن بعدها بدا صوت التصفيق عاليًا.

نظرت هي بفخر كبير لهما، وهاتفها زوجها قائلًا: وأخيرًا لقد جاء اليوم ورأينا فيه طفلينا بعدما كبرا، وأصبحا أجمل طبيبين يا حوريتي.

قالت له بسعادة: كم تمنيت أن أرى هذا اليوم، سبحانه من وهب لي القوة حتى أتحمل المرض، وبفضله وكرمه أنه شفاني منه.

قال لها بنبرة حزينة: كلما أتذكر ذلك اليوم أشعر بغصة داخل قلبي، لقد كنت أخشى خسارتك .

فلاش باك :

دلفت حور لغرفة العمليات، وكان فادي ينتظر بالخارج مع والدته وتيا وتقي.

وتذكر الرسالة التي أعطتها حور له، وجلس بعيدًا عن العائلة، وبدأ يقرأ ما دونته هي من كلمات..

ولأول مرة كان يبكي بحرقة كالطفل الذي تاه من والدته، لا يعرف ما الذي يتوجب عليه فعله؛ حتى تبقى معه ولا تتركه، ولم يكن بوسعه فعل شيء غير الاستعانة بالله تعالى، دلف للوضوء ثم صلى كثيرًا، لم يحسب عدد الركعات التي صلاها، كان فقط يود أن يبقى وقتًا أطول مع الله، ويدعو

لمحبوبته أن تبقى على قيد الحياة، وأن تكون بجواره دائمًا ولا يخسرها أبدًا، وأن تخرج من الداخل بعافيتها هي وطفلهما، وانتهى من صلاته مع صوت بكاء المولود، وهنا قد زادت دموعه كالفيضانات تغمر جميع وجهه، وخرج ليحمل طفله.. تفاجأت والدته، وعندما سألته لمَ كل هذا البكاء؟ لم يجاوبها، وحمل طفله وجرى على الطبيب ليسأله على حالة زوجته.

تفاجأ من هذه المعجزة عند قال له الطبيب: بفضل الله لقد نجت من خطورة هذه الولادة وأصبحت في أفضل حال الآن، وستنتظرون قليلًا من الوقت وسوف تسترجع وعيها .

كانت حالة فادي مثل المجنون، يضحك أثناء بكائه، وهو يتمسك بالمولود، وبدأ يأذن له بصوت مبحوح، وناداه بـ"تميم."

وحينها ترك تميم مع والدته، وصلى مرة أخرى.. شاكرًا لله أنه استجاب لدعواته، ولم يخسر محبوبته .

باك ..

****

(17)

قال فادي بحب: لقد كنتِ محقة يا حوريتي عندما قلت إن هذه الدنيا ما هي إلا اختبارات من الله، وأنتِ نجحت في هذا الاختبار بجدارة.. لقد صبرتِ وتحملتِ الكثير من أجل طفلنا، ونحمد الله أنكِ لم تجهضيه؛ فَبإصرارك على مجيئه رغم مرضك، كان سببًا حتى يقف الله بجوارك ويتمم شفاءك، فأنتِ صبرتِ وناولك الله الشفاء.

قالت له: كان عليّ أن أصبر؛ لأنّ هذه الدنيا دار اختبار، مُرها أكثر من حُلوها، ولو كانت دار جزاء وهناء لكان أحق من يتنعم فيها سيدنا محمد رسول الله خير البشر، لكنه ابتلي فيها أشد أنواع البلاء، لقد مات له ثلاثة أولاد وثلاث بنات في حياته وهو يدفنهم واحدًا تلو الآخر ومع ذلك صبر!

اتُهمت أحب زوجاته إليه بالفاحشة زورًا وبهتانًا ومكث أكثر من شهر ينتظر الوحي لينزل ببراءتها فنزل بعد أربعين يومًا ومع ذلك صبر!

عُذّب أصحابه أمامه ومنهم من مات تحت التعذيب ومع ذلك صبر!

حُوصِر هو وأهله وأقاربه ثلاث سنوات حتى أكلوا أوراق الشجر وجلود الغنم ومع ذلك صبر!

وغيرها الكثير من أنواع البلاء وكان دائمًا صابرًا محتسبًا حامدًا لله، الابتلاء مليء بالأجر لمن يصبر ويحتسب، والصبر الذي تتحمله قلوبنا لن يضيع عند الله، ورحلة علاجي وصراعي مع هذا المرض لم تكن سهلة؛ لكنّه

سبحانه خفف عليّ كل الآلام، وكأنّ سبب ابتلائه لي حتى أراجع نفسي مرة أخرى، وأنظر لكم النعم الذي رزقني بها؛ حتى يردني إليه، وأسير على الصراط المستقيم والطريق الذي يحبه، ويرضى عنا فيه، ولكي أكون سببًا في هداية كثير من الناس، وهذا شيء أفتخر به أن الله اختارني أنا لذلك فَالحمد لله دائمًا وأبدًا.

"صبرٌ جميل ثم جبر عظيم من الله."

الابتلاءات قدر محتوم على الجميع

والصبر من عزم الأمور وتأتي علينا أيام نيأس بها من جنب الحياة ونفقد الأمل أن يكون كل شيء على ما يرام؛ لكن يجب أن نؤمن بقضاء الله وقدره، ولا تكره شيئًا اختاره الله لك.

(ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن وصَبٍ، ولا نَصَبٍ، ولا سَقَمٍ، ولا حَزَنٍ حتّى الهَمِّ يُهَمُّهُ، إلّا كُفِّرَ به مِن سَيِّئاتِهِ).

فَيجب على المُؤمن أن يصبر على الابتلاء، ولا يقول يا رب لماذا فعلت لي كذا وكذا، فأي مرض أو تعب أصابه ولو كان جُرحًا طفيفًا بالبدن فَيكافأ عليه، والله إذا أحب عبدًا ابتلاه، فإذا صَبر العَبد على الابتلاء لأحبه الله حبًّا مضاعفًا.

فعلى البلاء تؤجر

وعلى المرض تؤجر

وعلى الفقد تؤجر

وعلى الصبر تؤجر

فَرب الخير لا يأتي إلا بالخير.

قال بحب وهو ينظر لها بفخر شديد كونها زوجته: جزاكِ الله كل خير يا حوريتي.. لا أدري حقًا كيف ستكون حياتي من دونك، لقد خسرت أمي، ولا أحتمل خسارتك أنتِ أيضًا، ثم أكمل بنبرة حزينة وهو يتنهد: ذهبت اليوم إلى قبرها، وتحدثت معها كالعادة، لقد اشتقت لها كثيرًا .

قالت له بنبرة حزينة وهي تربت على كتفه: والدتك كانت من أحب الناس على قلبي رحمها الله برحمته الواسعة؛ لكن بالتأكيد إنها في مكان أفضل الآن، ولا تحتاج منا غير الدعوات لها بالرحمة والمغفرة.

"موت الأم هو الفاجعة الكبرى التي قد تصيب الإنسان، فتتركه مبتور القلب لا يعرف معنى السعادة، والأمان، والحنان، والطمأنينة، وبرحيلها يُغلَق باب من أبواب النعيم."

****

الفصل الأخير

حور

اليوم ظهرت نتيجة "تميم" فهو في الصف الثالث الإعدادي، وبفضل الله قد حصل على مجموع عالٍ، وقرر أن يلتحق بالثانوية العامة مثل أخويه، ويأمل بأن يكون طبيبًا مثلهما، فهو يحب تيا وتقي كثيرًا، ويعتبرهما قدوة له.

وبعد يومين من حفل التخرج.. اتصلت بي همسة؛ حتى نحدد زواج آسر وتيا، وتقي وسيليا لأن فترة الخطوبة قد طالت بسبب حكم دراستهم، والآن قد انتهوا منها.

وتحدد الزواج بأن يكون بعد أيام من الآن، وجلست مع تيا حتى أتحدث معها، وأقوم بتوعيتها فَهذا من واجبي كَأم.

وقلت لها بحب: محبوبتي أيام فقط، وستخرجين من هذا البيت زوجة، ويجب أن تعلمي أنكِ سوف تنتقلين إلى حياة أخرى، ولمرحلة جديدة ومختلفة لم تدركي مسؤوليتها من قبل، لكني مطمئنة عليكِ مع آسر فهو يحبك وهمسة تحبك مثلي تمامًا؛ لكن يجب أن أقول لكِ نصائح حتى تتأقلمي في حياتك الجديدة، وتعيشي بسعادة بعد زواجك، وأعلم أنكِ ستقومين بفعل ذلك، وستكونين زوجة وأمًا مثالية..

يجب أن تحترمي زوجك وتطيعيه؛ وتتضمن هذه الطاعة حرصك على أمواله في حضوره وغيابه، وبالإضافة إلى إحسانك إلى عائلته، كما يتوجب على الزوجة ألا تدخل إلى بيت زوجها أي شخص يكره دخوله، ألا تخرج من منزل الزوجية إلا بإذنه، حيث إنه من حق الزوج أن يمنع زوجته من الخروج إذا كان خروجها لغير أمر ضروري أو واجب.

وأن تهتمي بمظهرك من أجل زوجك فلا يراكِ إلا في أجمل مظاهرك؛ فَمن حقوق الزوج اهتمام الزوجة بنفسها والتزين والتجمل له، فتكون في بيته تسره إذا نظر إليها، قال رسول الله: «خير نسائِكم من إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسِها ومالِه»، فيلزم عليكِ بذلك التطيب والتجمل بما يجعلك حسنة المنظر والمظهر، ثم تولين نفسك وبيتك وأولاده اهتمامًا يرضيه.

وأن تحافظي على نظافة بيتك دومًا، ويجب أن تحرصي على راحته، وأن تدبري في المال ولا تبذري، وألّا تعصي أوامره أبدًا، ولا تفشي أسرار منزلكم أبدًا، وكل خلاف ينحل بينكم فقط دون تدخل أي أحد إلا إذا لزم الأمر لذلك..

ويجب أن تراعي شعوره فلا يصح أن تفرحي أمامه وهو مهموم، ولا تحزني وهو فرح؛ فيجب أن تشاركيه وجدانيًا بما يمر به.

على الجانب الآخر كان يجلس فادي مع ابنه تقي، ويحدثه في موضوع زواجه ويقول له: سيليا فتاة طيبة وابنة حلال، وأنا متأكد بأنها سوف تسعدك،

ويجب عليك أن تراعي الله في زوجتك، وألا تحزنها منك، والنساء بطبعهن يحببن الدلال ويحببن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك، فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجابًا من الجفاء نقصًا في المودة، ويكرهن الرجل الشديد الحازم، ويستخدمن الرجل الضعيف اللين فاجعل لكل صفة مكانها، فإنه أدعى للحب وأجلب للطمأنينة، ويحببن من الزوج ما يحب الزوج منهن من طيب الكلام، وكذلك حسن المنظر ونظافة الثياب وطيب الرائحة فكن في كل أحوالك كذلك..

والبيت مملكة الأنثى، وفيه تشعر أنها متربعة على عرشها وأنها سيدة فيه، فإياك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها، وإياك أيضًا أن تحاول أن تزيحها عن عرشها هذا، فإنك إن فعلت نازعتها ملكها، وليس لملكٍ أشد عداوة ممن ينازعه ملكه، المرأة تمر بحالات من الضعف الجسدي والتعب النفسي، حيث إن الله سبحانه وتعالى أسقط عنها مجموعة من الفرائض فقد أسقط عنها الصلاة نهائيًا في هذه الحالات، وأنسأ لها الصيام خلالهما حتى تعود صحتها ويعتدل مزاجها، فكن معها في هذه الأحوال ربانيًا كما خفف الله سبحانه وتعالى عنها فرائضه، ولم يغفل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذكر المرأة في حَجة الوداع العظيمة ووصّى المسلمين خيرًا بالنساء، ويزخر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالتوصيات والأوامر بحسن معاملة النساء، وإسداء المعروف لهنّ واحترام مكانتهن.

قال تعالى: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (النساء:19)

والرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام الذي قال في حديثه: "استوصوا بالنساء خيرًا" لم يغفل عن ذكر المرأة في حجة الوداع العظيمة ووصى المسلمين خيرًا بالنساء، وحين سأله أحد الصحابة رضوان الله عليهم عمن هو خير المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (صحيح الترمذي).

والأهل هنا تأتي بمعنى الزوجة بشكل خاص؛ فَيجب أن تراعي الله فيها، ولا تنسَ وصية رسول الله لك.

مرت الأيام بسرعة البرق، وجاء يوم الزواج.

كانت حور واقفة بجوار همسة وقالت لها: مبارك عليهم يا صديقتي، لا أصدق أن بعد كل تلك السنوات، مازلنا أصدقاء مثلما كنا، والآن نزوج أولادنا لبعضهم.

قالت لها همسة بسعادة: أنا سعيدة جدًا لذلك، أن أولادنا سيكون بينهم روابط قوية، وهذا سيجعلنا أقرب لبعضنا، أنا أتذكر جيدًا كل ذكرياتنا، وكبرنا مع بعضنا يا صديقتي، أنا حقًا دائمًا أفتخر بهذه الصداقة، دُمتِ لي شيئًا جميلًا لا ينتهي.

ثم قالت الاثنتان في نفس الوقت: سنبقى صديقتين للأبد.. على مر السنين.. على هذا نحن دومًا باقيتين.

واحتضنتا بعضهما، والسعادة تغمرهما.

وفي المساء بعد انتهاء الزواج، ودعت كل أم أولادها، وتمنتا لهم حياة جديدة سعيدة تملؤها المودة والرحمة.

وبعد عودتهم للمنزل، دلف تميم للنوم..

ودلفت حور لغرفتها، وتابعها فادي ثم احتضنها وقال لها بحب: لا أصدق أن غدًا ذكرى زواجنا الخامسة والعشرين، لقد مرت السنوات، وكبر حبك في داخلي، وتملك مني يا حوريتي، أريدك بجانبي حتى مماتي، فَكنتِ خير السند والدعم لي في هذه الحياة، بمجيئك لحياتي لجأ معكِ الرزق والسعادة الحقيقية.

احتضنته ثم قبلته، وقالت له بحب متبادل: لن أتركك أبدًا يا فدوتي، ستجدني دائمًا معك، وأفكر بك، وأخاف عليك، وأدعو لك، وأحبك أكثر منك حتى وإن اختلفنا قليلًا.. لا أتركك لتفاهات الحياة، إنك بقلبي أكبر من ذلك.

دفن رأسه في عنقها وقال لها: الاسم مجنونك يا حوريتي، والعمر أنتِ عمري، الهواية أهواكِ، سكنتي روحي وتربعتِ على عرش قلبي.. حتى تفارق روحي مثواها، والنهاية أحبك.

تمت بحمد اللّه

رواية
لعلها تكون سبباً في تغيرك
حنين الشبراوي
الطبعة الأولى
1446 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.